وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس – المدية –

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

إشكالية الهوية في رواية بينما ينام العالم لسوزان أبو الهوى

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

– مروةرحال

– رانية بوقدرة

– إشراف الأستاذ:

فوزي لدزر

السنة الجامعية

2024 – 2023


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وتقدير

بعد أن منّ الله علينا بإنجاز هذا العمل، فإننا نتوجه إليه الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً، بجميع ألوان الحمد والشكر على فضله وكرمه الذي غمرنا به.

فوفقنا إلى ما نحن فيه، راجيتان منه دوام نعمه وكرمه، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" فإننا نتقدم بفائق الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ المشرف "لدزر فوزي" على إشرافه على هذه المذكرة، وعلى الجهد الكبير الذي بذله معنا وعلى نصائحه القيمة التي مهدت لنا الطريق لإتمام هذه الدراسة، منا كل الاحترام والتقدير، كما نتوجه في هذا المقام بالشكر الخاص لأساتذتنا الذين رافقونا طيلة المشوار الدراسي، ولم يبخلوا في تقديم يد العون والنصح والتوجيه.

وفي الختام نشكر كل من ساعدنا وساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد حتى ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة عطرة.




إهداء

الحمد لله شكراً وامتناناً على البدء والختام

"وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين"

أهدي هذا العمل المتواضع وثمرة نجاحي

وتخرجي إلى:

أمي شمس حياتي ونور دربي إلى من وهبتني عمرها

ووقفت معي في كل خطوة من خطواتي.

رحمك الله يا أمي فقط فارقتنا جسداً ولكنك حية في قلوبنا

إلى أبي الغالي:

معلمي الأول في الحياة إلى من علمني القراءة

والكتابة، من غرس فيّ حب العلم والمعرفة وكان معلمي في

الابتدائية ونصحني وسدد خطاي

حفظك الله يا أبي وبارك في عمرك

إلى صديقتي الوفية:

رفيقة دربي وشريكة نجاحي مروة التي شاركتني الأفراح

والأحزان ووقفت معي في لحظات ضعفي

رانية.







إهداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا وأجملنا

بالعافية، أتقدم بإهداء عملي المتواضع إلى:

إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت مصباحي في الليالي المظلمات

سِر قوتي ونجاحي جنتي لكِ أنت يا أجمل حواء(والدتي)

شفاك لي الله.

إلى الذي زين إسمي بأجمل الألقاب، من دعمني بلا حدود وأعطاني

بلا مقابل، سندي (والدي).

إلى من هم انطلاقة الماضي وعون الحاضر وسند المستقبل، الذين لا عيش

بدونهم ولا متعة إلاّ برفقتهم عبد الرحيم، شعيب، وتوأم روحي راضية.

وإلى رمز الصداقة وحسن العلاقة أختي الثانية ورفيقتي "رانية"

دون أن أنسى أمهاتي الثلاث خالاتي، وابنة خالتي.

مروة




مـقــدمــة

مقدمة:

إن طرح سؤال الهوية هو بمثابة مغامرة عميقة لاكتشاف الذات وفهمها وربطها بالعلاقات الاجتماعية والانسانية، ولهذا احتلت مكانة محورية في النقاشات الفكرية والثقافية وحتى السياسية خاصة عند الدول العربية وذلك لما مرت به من حملات استعمارية ما جعل الهوية عندهم قضية شائكة ومعقدة، فالهوية ترتبط بتعريف الآنا في مرآة الآخر، ولهذا عمل الاستعمار جاهدا على تشويه صورة الآخر (العربي) من خلال فرض لغته وثقافته ودينه عليه إلا أن هذه المحاولات قوبلت بالاعتراض وعدم التسليم بأهداف ومقاصد الاحتلال حيث تشبث العرب بلغتهم ودينهم وحاولوا الحفاظ على هويتهم والمقاومة بشتى الطرق منها العسكرية عن طريق السلاح أو الفكرية وذلك للتعبير عن الآراء وتصوير المعاناة في الكتب والمؤلفات، فوظيفة هؤلاء الكتاب هي كشف زيف الأهداف الظاهرية لهذا المحتل.

ولم تقتصر هذه الكتابات على كتاب مقيمين داخل وطنهم بل حتى كتاب المنفى والشتات الذين عاشوا بدورهم معاناة التشريد والتّرحيل الطوعي أو القسري بحثا عن الحرية، فبينما كان الارتحال فرديا في العصور السابقة، صار هناك مجتمعات كاملة تعيش في الشتات وتبتعد طوعا أو كرها عن أوطانها الأصلية مثل الأفارقة الذين يعيشون في فرنسا، والهنود والباكستانيين الذين أنتجوا آدابا مهجنة في شكل مقاومة ثقافية.

وفي السياق نفسه نجد الأدب الفلسطيني المقاوم للاحتلال الإسرائيلي داخل الوطن وخارجه، وبالأخص الكتاب الذين اضطهدوا من طرف الاحتلال ودُفعوا للعيش في بيئة غير بيئتهم وهذا ما شكل عندهم تشظي الهوية وانقسامها فلا هم بفلسطينيين ولا هم بأجانب من أمثال إدوارد سعيد الذي يستعيد وضعيته كمنفى بالمعنيين السياسي والثقافي ويشرح لقارئه كيف أصبح هو وعائلته منفيين من الوطن ويوضح هذا الوضع بالنسبة له ولباقي الفلسطينيين وذلك من خلال كتاباته ككتابه " بعد السماء الأخيرة" ومن هذا المنطق تطرقنا لموضوع سؤال الهوية في رواية بينما ينام العالم لسوزان أبو الهوى التي تعد واحدة من ضحايا المنفى الفلسطينيين الذين تجرعوا مرارة الهجنة وتشظي الهوية.

ولهذا صوّرت لنا معاناة هؤلاء في مؤلفاتها، وخاصة في رواية بينما ينام العالم، وفي هذا الصدد ومن خلال موضوع بحثنا نحاول الإجابة عن الاشكاليات التالية، كيف تجلت أثار المنفى والعيش في الشتات على هوية الفلسطنيين في رواية بينما ينام العالم؟

وقد تفرعت في هذه الاشكالية حول مجموعة من التساؤلات منه ماهي الخلفيات الثقافية والفلسفية للهوية؟ وهل يوجد تعريف محدد لمصطلح الهوية؟ وقد تمحورت هذه الاشكالية حول الهوية لدى كل من فرانز فانون، والفلسطيني إدوارد سعيد، فقد خصصنا الفصل الأول الذي عنوناه بإشكالية الهوية في الثقافة العربية لمناقشة سؤال الهوية في الخطاب الروائي العربي المعاصر، ودراسة الخلفيات الفلسفية والثقافية لقضية الهوية، وقد اندرج عنها أيضا تعريف مصطلح الهوية .أما الفصل الثاني فقد خصصناه للأدب الفلسطيني المقاوم والصراع الهوياتي في أدب الشتات الفلسطيني، وأهم الروايات الفلسطينية التي عالجت موضوع الهوية ومن بينها رواية " رجال في الشمس " أما الجزء التطبيقي فهو مخصص لرواية بينما ينام العالم وتشظي الهوية في شخصياتها وتجاذبات الهوية والهجنة في الرواية.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على استراتيجية النقد الثقافي الذي يهتم بقضية الهوية و الهجنة كما استعملنا بعض المناهج الاخرى ك المنهج التاريخي و المنهج الاجتماعي

ومن بين أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي صعوبة الحصول على بعض المراجع حيث كتب معظمها بالإنجليزية والفرنسية بالإضافة إلى تشعب موضوع الهوية، وعدم وجود تعريف محدد لها، وكذلك ضيق الوقت فالهوية موضوع متجذر وعميق والأهداف التي أردنا الوصول إليها هي تبيين أهمية الهوية بالنسبة للذات والآخر وقيمه الثقافية والوطنية لدى الشعوب وخاصة العربية، والمخلفات السلبية للهجنة والتغريب.

وكذلك حاولنا تصوير معاناة الفلسطينيين من خلال المراجع التي استعملناها منها: الرواية المدروسة لسوزان أبو الهوى، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ل غسان كنفاني، سؤال الهوية وقضايا التراث والمنهج والدولة لعبد الرحيم خطوف، متاهات الكلمة وأصالة الهوية لبديعة النعيمي، إدوارد سعيد ومفارقة الهوية ل بيل أشكروفت.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر الأستاذ المشرف " لدزر فوزي" الذي كان عونا لنا وساعدنا في الحصول على البيانات اللازمة .

مدخل

مدخل

نشأت دلالة الاستعمار عن إصلاح الأرض وإعمارها أي أن أصله مشتق من كلمة عمّر واستعمره في المكان أي جعله يعمره، وفي تعريفه اللغوي « يفيد معنى طلب التعبير والسعي لتحقيق العمران»[1]، ولكن مع مرور الوقت تغيرت هذه الدلالة، وظهر هذا المصطلح بمعناه الحقيقي في الظاهر والباطن أنه السيطرة على أراضي الغير واستغلالها والاستيلاء عليها ومثال ذلك تعريف الشهابي له. « واستيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر، لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده، والعمل على استثمار مرافقه المختلفة»[2]، وعليه نستنتج أن الاستعمار يهدف بالدرجة الأولى إلى الاستغلال الاقتصادي ومنه السيطرة على الموارد الطبيعية والبشرية للسكان المحليين وهذا ما يهدد أمنهم الغذائي وسلمهم، وكذلك طمس هوية المستعمَر، وبذاك سلبهم ثقافتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبالتالي إضعاف هويتهم، وهكذا بات الاستعمار هو الوسيلة الأمثل لتجريد السكان الأصليين من هويتهم.

وبهذا ترك الاستعمار أثرا عميقا في نفوس الشعوب المستعمرة حتى بعد الاستقلال ولقد ظهرت نظريات تدرس ما خلفه الاستعمار، ومنها نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، حيث بدأت هاته النظرية مع أولى خطوات الاستعمار الأوروبي للشرق، خاصة لاحتلاله لدول العالم الثالث إذ مازالت مستمرة حتى الآن، وتظهر في الانتاج الأدبي أو الأوروبي المعبر عن التوجه الفكري والثقافي الاستعماري للشرق، وهناك من النقاد من يرى أنها ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث تتناول هذه النظرية قضايا ما ظهر في الدول المستعمَرة وهي بذلك تمثل المستعمَر نفسه[3] أي أنها دراسة أكاديمية تحلل تأثيرات طويلة المدى للاستعمار على المجتمعات والثقافات وبما أن الهدف الأول للاستعمار هو ضرب شعوب المستعمرات في هويتها المتعلقة بوطنها وثقافاتها ودينها فحاول هدم القيم المتعلقة بهاته المستعمرات.

---

[1]– منقذ بن محمود السقار، الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، مكة المكرمة 1427هـ، ص 4.

[2]– المرجع نفسه، ص 4.

[3]– طلعت عبد العزيز أبو العزم، أدب ما بعد الاستعمار ، ونظريته النقدية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، الجيزة، 2017،ص13

كما تعنى هذه النظرية أيضا بتتبع تأثير الاستعمار على الثقافة والأدب في البلدان التي تعرضت للاستعمار، حيث يستعمل هؤلاء الأدب للتعبير عن رأيهم والدّفاع عن حريتهم والمحافظة على هويتهم كالأدب الفلسطيني والأدب المغاربي بصفة عامة.

وهذا الأخير يعدّهذا الأدب بمثابة أدب المقاومة، وأدب يتصدى للعدو الذي يريد هدم القيم العقائدية والثقافية التي تعد من بين أهم العوامل المشكِّلة للهوية التي تبنى عن طريق خلفيات أخرى كالخلفيات الفلسفية والثقافية، فالهوية هي نتاج تفاعل العديد من العناصر وجمع العديد من التجارب الشخصية، فهي نسيج ينسج بجملة من الخيوط التي تربط بين الانتماءات والقيم والمعتقدات، وبالتالي هي رحلة مستمرة متعلقة بالإنسان واكتشافه لنفسه.

الفصـــــلالأول:

إشكالية الهوية في الثقافة العربية

المبحث الأول: سؤال الهوية في الخطاب الروائي المعاصر

1. الخلفيات الفلسفية والثقافية لقضية الهوية

2. الهوية – المصطلح– الدلالات

المبحث الثاني: الاستعمار وأثره في قضية الهوية

1. إشكالية الهوية في فكر إدوارد سعيد

2. الهوية المتشظية عند فرانز فانون

المبحث الأول: سؤال الهوية في الخطاب الروائي العربي المعاصر

1. الخلفيات الفلسفية والثقافية لمسألة الهوية.

تلعب الفلسفة دورا مهما في تشكيل الهوية، فهذه الأخيرة هي دراسة الأسئلة الأساسية حول الوجود والمعنى، حيث تؤثر من خلال تقديم إطار للتفكير في الذات والمجتمع ونُعرفها حسب المعجم الفلسفي « أنها حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات»[1] وبحسب ريجادجينكر« أن الهوية هي تصورنا حول من نحن ومن الآخرون، وكذلك تصور الآخرين حول أنفسهم وحول الآخرين»[2]،ومنه نستنتج أن الهوية هي مفهوم معقد يرتبط بتصورنا عن أنفسنا وتصور الآخرين عنا، غير أنها تعتبر جزءا من تجربتنا الشخصية وتفاعلاتنا مع العالم المحيط بنا، فهي مرآة تعكس من نحن، وكيف نرى الآخرين وكيف يروننا، فباعتبارنا أن الهوية تعبر عن الذات والوجود في الفلسفة وغيرها فمن أين تنشأ الهوية، وهل يمكن تحديدها؟

من المعروف أن الهوية مرتبطة بالثقافة والتجارب الفردية والعلاقات الاجتماعية، فهي تتأثر باللّغة والعرق والدّين، والمكان الذي يولد فيه الإنسان، فهل الإنسان الأمازيغي هويته أمازيغية، وهل الإنسان المسلم هويته متعلقة بدينه، وهل الإنسان العربي هويته عربية؟

يجيب حسن حنفي عن هذا التساؤل، ويرفض أن تستند الهوية إلى السلالات أو العرق، ويؤكد أن الهوية عملية ديناميكية، تتشكّل من خلال مجموعة من العوامل فهو يرى بأن جميع البشر متساوون في طبيعتهم الإنسانية و«الهوية إنسانية تتجاوز الحدود الجغرافية العرقية والثقافية »[3] ونحن نتفق مع هذه المقولة، فكل إنسان بغض النظر عن أصله أو مكانته أو لغته فهو يمتلك نفس الخصائص وهي الحاجة إلى الاحترام والحرية وهذه القواسم المشتركة التي توحدنا كبشر، ولقوله تعالى: « يا أيّها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»[4] ومنه فالآية

---

[1]– ابراهيم مدكور، المنهج الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون الآميرية، القاهرة، 1983، ص 208.

[2]– عرفات عبد الخبير الرميمة، معرفة الهوية وإعادة بناء الذات، صنعاء، 2023، ص 57.

[3]– حسن حنفي، الهوية، مؤسسة الهنداوي، ط1، سنة 2012م، ص 75.

[4]– القرآن الكريم، الحجرات الآية رقم 13.

الكريمة تؤكد على وحدة الهوية لأن وحدة الهوية عند شعب معين، وبالتالي يختلف كل شعب عن آخر.

الهوية ليست مضبوطة بمعايير محددة بل هي تعبير عن الذات والجوهر، خاصة عند الفلاسفة القدامى فمنذ بواكير الفكر الفلسفي ارتبط مفهوم الهوية بأمور ومجالات مختلفة، وضمن أشكال متنوعة من القبول الذي يمكن تصنيفه إلى مجموعتين، الأول الجوهراني الذي يستند إلى الإيمان بالجوهر وقد فهمت صبغة الكائن موجود واللاكائن غير موجود، وبوصفها تأكيدا على أن هوية الكائنات التجريبية أيا كانت تلك الكائنات هي ما يبقى دون تغيير رغم التغييرات[1] فوفق هذا المنظور نرى أن هذا الرأي يزعم أن الهوية هي شيء جوهري متعلق بوجود الكائن وهي ثابتة لديه، ومن جهة يرى البعض الآخر أنّالهوية ليست بالضرورة شيئا مماثلا بل هي الاختلاف وهي الانتماء المشترك بهاتين العمليتين أساس مفارقة الهوية [2].

وهذا الأخير يندرج ضمن الفلسفة اليونانية القديمة أما بالنسبة للفلسفة الإسلامية فهي مرتبطة بالعقيدة الإسلامية والبشرية حيث ظهرت بعض الطوائف الذين يمثلون الهوية الإسلامية، كالمعتزلة[3]. التي ترى أن الهوية تعتمد على تفاعل الفرد مع مجتمعه وتجاربه الشخصية إذ أنها تدعم رأي الفلاسفة القدامى في أن الهوية هي تعبير عن وحدة الوجود والذات وهذا ما استند إليه الفارابي في قوله: « الهو معناه الوحدة والوجود .... وهذا ما نجد عند فولتير في معجمه الفلسفي»[4] فالهوية تمثل الجوانب الأساسية للفرد ومفهومها مرتبط بوجوده، وهي تشمل مجموعة من العوامل التي تحدد من هو الشخص وكيف يتفاعل مع العالم من حوله، وهذا ما أكد عليه كل من الفارابي وفولتيير، وبهذا تتأكد الصيغة الواحدية

---

[1]– كلود دوبار، أزمة الهويات، المكتبة الشرقية، ط1، سنة 2008، ص 16–18 بتصرف.

[2]– المرجع نفسه، ص 19 بتصرف.

[3]– جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، السماحة للطباعة والنشر، ط1، الكويت، 2012، ص 15–25– بتصرف.

[4]– فتحي التريكي، عبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر أفتق معرفة متجددة، دمشق 2003، ص 195.

لمفهوم الهوية على المستوى الفلسفي الذي يعني المماثلة والتوحد، حيث أصبح هذا الرأي معضلة في الفلسفة الحديثة، حيث أنه يلغي الآخر إذ أنه « جعل الكتابات المعاصرة تعيش قلق السؤال عن الهوية وعن الاختلاف وعن الفروقات وعن الكلي وعن الآخر وعن المخالف والمماثل [1]» إذ يعنى السؤال عن الهوية في الفلسفة الحديثة بالتفكير في الجوانب الأساسية للفرد والذات مع تأثره بالعوامل الخارجية (الآخر).

لطالما حافظت الفلسفة الاسلامية على مفهوم الهوية عامة والعرب خاصة إلى أن جاء المستعمِر الذي حاول بشتى الطرق طمس هويتهم وعلى رأس هؤلاء المستعمرين نجد الدول الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا «وتعتبر الحملة الفرنسية أول غزو عسكري أوروبي في التاريخ الحديث لبلد عربي إسلامي من بلاد الدولة العثمانية، ولكن هذا الغزو سبقه سيطرة الدول الاستعمارية الكبرى بريطانيا وفرنسا وهولندا، على دول الإمارات الإسلامية»[2] وقد عملت هذه الدول الاستعمارية جاهدة على شن حرب على العناصر الأساسية المكوِّنة للهوية الإسلامية (الدين، اللغة، الثقافة)، وهكذا أصبحت الهوية من القضايا المهمة التي تشغل العرب بسبب الاستعمار وأهدافه المتسلطة على عناصر الهوية، وأبرزها الثقافة الوطنية "المرتبطة بالهوية الوطنية التي تعد عنصرا رئيسيا في تشكيل الهوية، وقد حاول الكثير من العلماء الوصول إلى تعريف أو تحديد مفهوم الثقافة، ولكنه يتميز بقدر هائل من الاتساع والشمول"[3]،

ومن أقدم التعريفات إدوارد تايلورهي« ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، غير ذلك من العادات التي يكتسبها الفرد باعتباره عضوا في مجتمع معين، أو منتميا إلى جماعة معينة»[4] ومنه فالثقافة هي ما يتميز به مجتمع على آخر، وهذه الأخيرة هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالهوية، وهذا ما هو معروف

[1] – فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها، ترجمة نور الدين السافي، زهير المديني، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس،2010، ص09.

[2] – جاسم بن محمد مهلهل الياسين، الهوية الاسلامية، المرجع نفسه، ص 15-25.

[3] – محمود الضبع، الثقافة والوية والتكنولوجيا، وحدة الدراسات المستقبلية، مصر الاسكندرية، 2016، ص 09.

[4] – صالح السروي، الثقافة والهوية والعولمة، منبر حر لثقافة والأدب، أيلول 2020م.ص26

بثوابت الأمة التي لا يجوز المساس بها حيث أن « الثقافة الوطنية والهوية الوطنية تمثلان كيانا متحركا ومتعدد الأبعاد في نفس الآن،أي يخضع لشرطي الزمان والمكان يخضع للمعطيات المعرفية والعلائقية التي تطرحها المرحلة التاريخية المحددة»[1]. لذلك فإننا نستنتج أن الثقافة الوطنية هي تجميع القيم والمعتقدات التي تخص شعبا معينا، وهذا ما يشكل جوهر الهوية، وهذا ما يجب أن نفهمه أن الثقافة والهوية الوطنية ليست ثابتة بل قابلة للتطور، وهي تعبر عن الانتماء والولاء للوطن وتشكل جزءا من الهوية الشخصية للفرد « إن عناصر هويتنا الموجودة أصلا فينا عند ولادتنا ليست كثيرة، بعض الصفات الخارجية الجنس واللّون وحتى هذه العناصر ليست فطرية فبالرغم من أن البيئة الاجتماعية ليست هي التي تحدد الجنس بالطبع فهي تحدد معنى الانتماء ... وهو ما يعني أن الهوية ليست مركبة فينا على نحو وراثي بل هي مكتسبة»[2] زمنه فالهوية ليست فطرية، بل هي متشكلة من عدة عوامل خارجية ومتأثرة بالبيئة الاجتماعية التي من أبرزها الثقافة فقد عالج ماركس الثقافة بشكل مشابه للوظيفين حيث اعتبر الثقافة إنسانية ذات أصل اجتماعي، وهي لا يمكن تصورها من الطبيعة أو من الغريزة الفطرية للكائن البشري، فالثقافة تأتي من خلق الإنسانية لأولى المجتمعات [3]ومنه الثقافة مكتسبة.

ثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، بحيث يتعذر الفصل بينهما، وقد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، وبما أن الثقافة في مفهومها تتضمن كل ما يتعلق بالإنسان وتقاليده وإنتاجه الفكري فهي تصنع الفرد، والهوية هي جزء لا يتجزأ من الفرد والثقافة حيث ظهرت ما تسمى بالهوية الثقافية ويمكن تعريفها «بأنها الملامح والسّمات الفارقة لثقافة ما عن غيرها من الثقافات بما يجعلها تتميز عن سواها من معارف متجاورة ومتداخلة ومتشعبة »[4] وعلى ضوء ذلك فإن التنوع الثقافي هو مجموع العادات والتقاليد التي يختلف بها مجتمع عن آخر، فإذا

---

[1]– صالح السروي، الثقافة والهوية والعولمة، المرجع السابق،ص27

[2]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، ط1، مشق، 2010، ص 28.بتصرف

[4]– محمود الضبع، الثقافة والهوية والتكنولوجيا، المرجع نفسه، ص 17.

كانت الثقافة هي كل ما أنتجه الإنسان من تطور فكري وعملي، فإن الهوية الثقافية تشترط في هذا الإنتاج أن يكون أصيلا ومتفردا يعبّر عن ملامح فارغة، ويمكن رصد السّمات الفارقة للهوية الثقافية العربية من خلال عدة جوانب، منها

اللغة: التي هي شرط لتكون الهوية، ويجب أن يكون حاملها ملّما بها استماعا وتحدثا وكتابة، وكذاك

الأعراف والتقاليد: وهي جملة الاتفاقات التي تتعارف عليها الغالبية العظمى من أفراد المجتمع [1] ومن المعروف أن العرب تتمتع بالكثير من العادات والتقاليد المتوارثة من جيل إلى آخر وهذا ما يسمى بالموروث الثقافي ويعني «الأدبيات المعرفية التي يمثل المنتج الحالي امتدادا لها، اتفاقا أو مغايرة»[2]، ومثال ذلك الشعر العربي الذي يميّز الثقافة والهوية العربية.

الدين: المعتقد الديني الذي يعد من أخطر وأهم ملامح الهوية الثقافية، ويتجسد ذلك « من خلال مظهرين، أحدهما يرتبط بالمعاملات والثاني يرتبط بالأفكار»[3]، وبناءً على ذلك تتشكل هوية الإنسان العربي من خلال معتقده الديني على مستوى معاملاته ومعالجته لمختلف القضايا.

فعلاقة الدين بالهوية هي علاقة معقدة، فالأمة الإسلامية ترى بأن هويتها تكمن في تعلقها بعقيدتها ودينها الإسلامي ومما لا شك فيه أن الدين يشكل عنصرا مهما في الهوية، «فحضور الهوية في وعي الذات يعطيها الاستقرار والأمان حيث يتم تأسيس أمة على ثوابت وقيم على رأسها العقيدة، والتاريخ والمنظومة الأخلاقية»[4]وبهذا فنتوصل إلى أن الهوية هي جزء مهم بالنسبة للفرد ·

الهوية من بين العوامل التي تحسسه بذاته وموقعه في العالم وفي الأمة الإسلامية، فالعقيدة من أهم العناصر المكونة للفرد والجماعة، فالإسلام يعزز قيم التعاون والتكافؤ الاجتماعي لذا

[1]– هارلمبس وهولبورن ، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، المرجع السابق، ص 26 بتصرف

[2]– محمود الضبع، الثقافة والهوية والتكنولوجيا، المرجع نفسه، ص 19.

[3]– المرجع نفسه، ص 21.

[4]– عبد الرحيم خطوف، سؤال الهوية وقضايا التراث والمنهج والدولة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص75

يعتبر الدين مقدس للهوية الإسلامية لأن علاقة الهوية بالدين هي علاقة العرض بجوهره،فالدين الإسلامي يدعو إلى هوية تميز المسلمين وبه يفرقون عن غيرهم[1]، ولكن السؤال الذي يطرح هو: هل يمكن لهذه الهوية المرتبطة بالدين أن تتحول وتتطور على حسب حضاراته؟ وللإجابة على هذا التساؤل: نقول بأن الهوية المرتبطة بالدين هي هوية ثابتة وهي التي تحفز الفرد على التطور « الهوية عند هذه الرؤية في الثقافة والحضارة ما هي إلا تجليات لهذه القيم السامية والمثل الأخلاقية وما هذا الفعل الاجتماعي والمنحنى العقلي إلا ثمرة تلك القيم وحصيلة تلك المثل ... وملامحها المتميزة أي ما يصطلح على تسميتها بالهوية الثقافية والحضارية »[2]، فالقيم الثابتة هي تلك المعتقدات الراسخة التي تشكل أساسا للسلوك العميق للمجتمع وهي تنتقل من جيل إلى جيل وهي أهم عنصر تبنى بها الهوية الثقافية والحضارية.

وليس فقط العقيدة فالهوية العربية هي مزيج من الدين و اللغة القومية والثقافة، إن مفهوم القومية مأخوذة من قوم أي جماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون بها[3]،هذا في اللغة أما في الاصطلاح فهي «جماعة من الناس تؤلف بينهم اللغة والتقاليد الاجتماعية، وأصول الثقافة»[4]

فكل هذه العناصر تشكل الهوية الجماعية لأي أمة،ومنها الأمة العربية وأهم عنصرين لتكوين الهوية القومية العربية هي اللغة،فاللغة العربية تعتبر من مقدسات الهوية العربية نجدها في شتى المجالات الثقافية، السياسة الدينية، وهي أهم رابطة تجمع العرب وتعبر عنهم، بالإضافة إلى التاريخ فتاريخ الأمة العربية هي ما تفخر به وما يمثلها ويميزها عن المجتمعات الأخرى، فهو يمثل الذاكرة الجماعية ويبرز ذلك في تقاليد الجماعة وأساطيرها وحكاياتها وكذلك مقاوماتها وإنجازات حروبها وصور أبطالها التاريخية فهو يعتبر الذاكرة

[1]- عبد الرحيم خطوف، المرجع السابق ص69 بتصرف.

[2]- المرجع نفسه، ص72.

[3]- المرجع نفسه، ص80، بتصرف.

[4]- المرجع نفسه، ص 80

القومية « فشعور الهوية الجمعية ينطلق من ذكريات تتصل بالتجارب الوجدانية المشتركة»[1] أي أن هذه الذكريات أساسية لتشكيل الانتماء الجماعي ولتشكيل هوية ثقافية تعاونية وتعزز الشعور بالوحدة والترابط بين القومية وتعطيهم الدافع لتحقيق أهدافهم.

ومن هنا فإن تحديد هوية مجتمع أو جماعة أو فرد يقتضي العودة إلى أصولها التاريخية والآثار والأحداث الهامة وهذا ما تعتز به الهوية العربية ومثال ذلك: الهوية الجزائرية.

وكما ذكرنا فإن الهوية مرتبطة بالثقافة الوطنية للمجتمع وهي ما تميز قطرًا عن آخر، وهي بذلك تشمل كل العناصر الوطنية كالبيئة، الموروث الثقافي وأغلب هذه العناصر لها حضور في مكونات الهويات.

ومنه نستخلص بأن الهوية هي مفهوم معقد ومتعدد الأوجه لها جذور عميقة في كل من الفلسفة،والثقافة ففي الفلسفة تشكل معنى الوجود والمعرفة والواقع وذلك حسب الفلاسفة على مر العصور، أما في الثقافة فهي تشمل كل ما هو متعلق بالمجتمع من موروثات ثقافية وأيضا وطنية وقومية.

ومنه نقول بأن فلسفتنا أي تفكيرنا وثقافتنا تحمل جزءا مهما في فهمنا لذاتنا ومكاننا في العالم.

[1]– عامر ممدوح خيرو، التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية، العدد 25، ط1، 2020.ص8

2.1 الهوية المصطلح والدلالات:

لا يزال مفهوم الهوية محط اهتمام العلماء والفلاسفة وغيرهم، فهو مصطلح يصعب تحديده، ولم يصل العلماء بعد إلى ضبط مفهوم جامع شامل.

أ/ لغة:

عرف ابن منظور الهوية لغة في كتابه لسان العرب قائلا أن الهوية هي : « تصغير هوة، وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة، وعرشها سقفها المغمى عليه بالتراب، فيغتر به واطئه، فيقع فيها ويهلك»[1] أما ابن شيمل فيقول أن «الهوة ذاهبة في الأرض بعيدة القعر مثل الدحل والهوة البئر، وقيل الهوة الحفرة البعيدة القعر وهي المهواة»[2]، وكما قال ابن الأعرابي أن «الرواية عرش هوية أراد أهوية، فلما سقطت الهمزة ردّت الضمة إلى الهاء في الحديث عُرِسْتُم فاجتنبوا هُوِيِّ»[3].

وعرفه الجرجاني بقوله أن الهوية هي « الشيء من حيث " هو هو "، معنى الشيء الذي يشير ذاته دون أي لُبْس أو غموص ويميزه عن أي شيء آخر»[4] تختلف التعاريف ويبقى المعنى واحد ومنه نلاحظ الاختلاف في التريف اللّغوي للهوية، وإجماع الكل على أنها مشتقة من الهو.

ب/ الهوية اصطلاحا:

أما في تعريفها الاصطلاحي فقد عرّفها ألكس ميكشللي بأنها «مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما، وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة كالشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة والاستقلال، والشعور بالثقة مبني على أساس من إرادة الوجود»[5] وبذلك فالهوية هي مفهوم معقد يتألف من مجموعة من العوامل والمعايير، وهي الطريقة التي نرى أنفسنا بها، وتشمل مشاعر الانتماء والتميز

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب– دار المعارف– القاهرة، ص 4728.

[2]– المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، سنة 1413 هـ، ص 216.

[5]– ألكس ميكشللي، الهوية: دار النشر الفرنسية، ط1، سنة 1993، ص 11.

والتكامل والقيمة،باختصار هي مزيج من المشاعر والمعايير التي تشكل مناطق تداخل في حياتنا، وكما أنها متعددة الأبعاد تستمر في التطور طوال حياة الإنسان.

ويقول مهدي عثمان أن « الهوية ظاهرة ملازمة للكائن البشري فردا وجماعة، تكون ظاهرة في حالة كمون في الظروف العادية الخالية من التوترات، غير أنها تخرج من طور الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل عندما يستفزها الآخر»[1]، ومن هذا التعريف نستنتج أن الهوية مصاحبة للإنسان تتأثر، وتظهر عند تعرض المجتمع لاضطرابات سياسية كانت او اجتماعية، مثل ما تراه في الدول العربية التي تخوض معارك للحفاظ على هويتها، وهذا ما يظهر جليا عند إدوارد سعيد.

- يقسم لالاند الهوية إلى ثلاث:

- الهوية العددية :« ولها معنيان متداخلان، علامة ما هو متماه، أي يمكن تشبيهه بفرد يقال عنه أنه متماه ويشار إلى هذين المعنيين، باسم هوية عددية»[2]

وهذا التعريف يشير إلى أن هناك تشابها بين أشخاص ولكن لا يمكن أن يكون متماثلا في جميع خصائصهم مثل بصمات الأصابع.

- الهوية الكيفيةأو النوعية: «سمة موضوعين فكريين، متمايزين في الزمان والمكان، لكنهما قد يتصفان معا بالصفات عينها. ويشير مفهوم الهوية الكيفية إلى الفرد وكيفية تفاعله مع العالم من حوله حيث تحتوي على عناصر ذاتية وموضوعية»[3].

هوية تماثلية وهي: «علاقة بالمعنى المنطقي، بين حدين أو طرفين متماهيين، يشير هذا المفهوم إلى تشابه شخص مع آخر»[4]وفي هذا التعريف المعاصر نجد أن «الهوية هي الذات والوعي بها، وإنها تعني الوجود المثبت للكيان بكل ما يقتضي من مكونات تشكله وخصوصيات تميزه وتجعله حقيقة متفردة لها عينة وتشخيص[5]»

---

[1]- مهدي عثمان- الهوية العربية في ظل العولمة، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2015ص 75.

[2]- عبد الرحيم خطوف، سؤال الهوية وقضايا التراث والمنهج والدولة ،المرجع نفسه 09 .

[3]- المرجع نفسه ، ص10.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ونجد في التعريف المعاصر للهوية أنها هي جوهر الفرد وكيانه وإدراك المعرفة وخصائصه، وهي ما تميز الأفراد عن الآخرين ويجعله فريدا.

ومنه نستخلص من هذه التعريفات أن الهوية لها أربع معاني:

- أ:الهوية ميزة الشيء وحقيقة المطلقة، وبها تتميز عن غيرها.
- ب:الهوية رابطة تربط بين أجزاء الذات، لذا سميت وحدة الذات.

ج:الهوية علامة وسمة، تجعل بين المشتركين فيهما علاقة تماثلية

ومن خلال هذه المعاني نستخلص معنى جامعا للهوية هي «الوجود والثبات والمغايرة وهي مقومات تصور لأي ذات من الذوات»[1]. وعليه فإن الهوية تشير إلى وجود الذات و تميزها عن غيرها، حيث تتأثر الهوية بعوامل متعددة كالتجارب الشخصية والعلاقات الاجتماعية والتأثيرات الثقافية

المبحث الثاني: الاستعمار وأثره في قضية الهوية

[1]- عبد الرحيم خطوف ، المرجع السابق، ص11.

1.2 إشكالية الهوية عند إدوارد سعيد:

ساعدت التجارب الشخصية التي عاشها إدوارد سعيد على فهم مظاهر الظلم والقمع التي مارسها المستعمر الغربي ضد الشرق، ممّا دفعه إلى اتخاذ موقف صدامي مع الغرب الإمبريالي غير أنه تعرّض لمظاهر الهجنة والفساد والمنفى ممّا ساهم بشكل كبير في مساره الفكري والنقدي كما يعتبر إدوارد سعيد بمثابة جسر يربط بين الشرق والغرب، حيث ساعدت أفكاره في تأسيس نظرية ما بعد الاستعمار التي تهتم بدراسة الأثار الاستعمارية على الثقافة والمجتمع فـ« لقد أدرك سعيد وجود بعض المفكرين الغربيين الذين نظروا للشرق نظرة منصفة وكان يستشهد دوما بما كتبه غوته، وقال سعيد بأن (الغرب ليس أحاديا أو متماثلا على الرغم من وجود نوع من التجانس الأوروبي الثقافي ... ورأى بأن المشكلة تكمن في جملة من المستشرقين الذين يكتبون عن العرب والإسلام دون أي تواصل مباشر مع الواقع الحقيقي، ومن دون أي معرفة باللّغة العربية»[1]، تنص هذه المقولة إلى النظرة الغربية نحو الشرق وهو موضوع مثير للنقاش، تناوله إدوارد سعيد بشكل مكثف، حيث انتقد بشدة النظرة الاستعمارية بشكل معادي للشرق، وهذا ما يؤثر على تصوره للثقافات الشرقية.

غير أن الهدف الرئيسي للغرب هو هدف استعماري «لا نبتعد عن الصواب لو قلنا بأن الأهداف الأولية للاستشراق استعمارية وتبشيرية واستكشافية منذ بدايتها، أما في الآونة الأخيرة فقد أصبح يطلق على المستشرقين لقب خبراء شؤون الشرق الأوسط، الذين يقومون بتقديم الخدمات المباشرة لصناع القرار في الحلف الإسرائيلي الأمريكي»[2]، وهنا نلاحظ أن هدف الاستشراق تحول من استعماري إلى استخباري.

لقد عانى إدوارد سعيد من الاستعمار لبلده الأم " فلسطين" «شكلت القضية الفلسطينية محورا مركزيا في حيلة سعيد وأعماله، لقد غادر القدس منذ عام 1947م ثم حدثت نكبة الـ 48 وأصبح لاجئا مع ملايين الفلسطينيين الآخرين الذين طردوا من بيوتهم وجردوا من أملاكهم،وحين عاد إلى القدس في أوائل تسعينات القرن العشرين، وجد بيت في القدس،

[1]– إدوارد سعيد، خيانة المثقفين ترجمة أسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سنة 2011، ص 11.

[2]– المرجع نفسه، ص 23.

تحتاه زمرة من المستوطنين»[1]فقد عاش سعيد حياته تحت التهديد والخوف على عائلته ووطنه فلم يشعر بامتلاكه للهوية في وطنه، وكانت حرب الأيام في الـ 67 نقطة تحول بالنسبة لإدوارد سعيد، وكل المغتربين الفلسطينيين، فقد أدت إلى فطنتهم وإدراكهم لضرورة الحرب من أجل الحفاظ على هويتهم.

يعد إدوارد سعيد من بين الأدباء الذين واجهوا نكبة الاستعمار وهذا ما جعلهم يسخرون أقلامهم لنصرة شعبهم، حيث أن مشكلة الهوية عند إدوارد سعيد تبدأ من نفسه واسمه خير دليل على ذلك، فكما نلاحظ أن إدوارد هو اسم غربي يعبّر عن هجنته وهجرته من بلده، أما سعيد فهو يدّل على انتمائه لوطنه وهذا ما ولّد في نفسه هاجس البحث عن هويته، وذلك ما ينعكس على مؤلفاته التي تمحورت حول موضوع الهوية وفي كتابه « بعد السماء الأخيرة حين يقول أن الهوية من نحن ومن أين جئنا وما نحن، شيء صعب المنال في المنفى »[2] عاش سعيد في المنفى بين القدس والقاهرة وبيروت وأمريكا وبين البيئة العربية والأمريكية، وبين أصله القديم ومحيطه الجديد، وهذا ما جعله يعتبر نفسه أنه شخص منزوع ومجرد من وطنه، على حسب قوله « هكذا كان يلزمني قرابة خمسين سنة لكي أعتاد على إدوارد وأخفف من الحرج الذي يسببه لي هذا الاسم»[3]وبسبب اسمه إدوارد أفضى الناس يشككون في جنسيته ويعتبرونه شخصا غريبا وليس عربي كما أنه يوحي لهم بشيء ما غير مؤكد، حيث جعلهم يطرحون سؤلا، هل توجد فلسطين أم لا توجد؟ وأغلب هؤلاء ينفون وجود فلسطين، ويرغبون بإزالتها رغم ماضيها العريق قبل الاحتلال [4] وكما نعرف أن فلسطين مرت بأبشع طرق الظلم والاستبداد من طرف الكيان الصهيوني، وهذا ما جعل شعبها يعيش في شتات وذلك ما تعرض له إدوارد سعيد، فكانت حياته غير مستقرة بسبب المنفى لذلك فإن « تفكير إدوارد سعيد في المنفى هو على وجه التحديد تفكير في الحرية الفكرية التي يدفع بها

[1]– بيل أشكروفت بال أهلواليا، مفارقة الهوية، ترجمة سهيل نجم، دار نينوى للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2002، ص 12.

[2]– المرجع نفسه، ص 10.

[3]– اسماعيل مهنانة، في تفكير الهجنة مع إدوارد سعيد، ابن نديم للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 13.

[4]– إدوارد سعيد، القلم والسيف، ترجمة توفيق الأسدي، دار كنعان، ط1، 1998م،ص 21، بتصرف.

في عدة جهات، إذ كان من اللازم على المرء أن يتقبل اجتماعيا القيام بالدور المنوط به، وتقبل هوياته ووضعه، فإنه من الواجب على الحياة الفكرية أن تمنح لكل واحد الوسائل للقيام بهذه المهام، ما يشكل معركة في الخارج، يجب أن يصبح تفاعلا وتبادلا في العالم الفكري»[1]، وهذا القول يتناول وجهة نظر إدوارد سعيد حول المنفى حيث يرى أنه ليس مجرد حالة من الإبعاد والاغتراب، بل يمكن أن يكون مكانا للإبداع والتفكير المتوازن حول الذات والآخر والوطن، وينظر إلى المنفى من زاويتين المنفى الذي يشير إلى الانفصال عن الوطن الأم، ويكون نتيجة لتأثير الاستعمار والهجرة القسرية أما المنفى الاختياري ينشأ نتيجة رغبة المرء في مغادرة وطنه لأي سبب من الأسباب، لم يهاجر سعيد وطنه رغبة في المغادرة، لكنه نفي.

ورغم ذلك تقبّل العيش مغترب وهذا يعتبر دافعا قويا لتسخير قلمه في تأليف الكتب، وبذلك قدّم مدلولا آخر للمنفى، ولكن رغم ذلك ترك في نفسه حزنا عميقا، لقوله: «لقد تبخر من حياتي وحياة الفلسطينيين جميعا ثبات الجغرافيا وامتداد الأرض»[2] وهذا يدّل على قساوة الاغتراب الذي عاشه إدوارد، ومهما حقق المنفيون من نجاحات تبقى في داخلهم عقدة النقص.

تميزت أعمال إدوارد سعيد بكثافة ملحوظة وبحمولة فكرية على شاكلة وصية روحية، وقد حاول بذلك ترسيخ القيم الإنسانية، وهي الكلمة التي أصرّ بعناد على استخدامها رغم رفضها من قبل بعض النقاد[3] فقد كتب إدوارد أكثر من عشرين كتابا ومئات المقالات التي حلّ فيها مجموعة واسعة من المواضيع، ولكنه يركز دائما على الإنسانية ومثالا على ذلك كتابه القضية الفلسطينية، المثقف والسلطة ... الخ،حيثأن إدوارد سعيد كان دوما ضد المواقف والأعضاء الذين يتميزون بقراراتهم المعتدلة، أي يرفض استخدام القوة والعنف

[1]– إدوارد سعيد، الاستشراق، دار بنجوين العالمية،ط1، 2006 ص97

[2]– فخري صالح، معنى المنفى من منظور إدوارد سعيد، مجلة يتفكرون، عدد 11، سنة 2021، ص 21.

[3]– إدوارد سعيد، من تفكيك المركزية الغربية إلى فضاء الهجنة والاختلاف، ت محمد الجرطي، منشورات المتوسط، ص 41.بتصرف

ويرفض أيضا المدافعين على الحلول السلمية والعاجلة، وذلك لما نراه اليوم في فلسطين، فهو يرفض وبشدة الوضع القائم وهو تعايش الفلسطينيين مع اليهود الإسرائيليين، وهم بذلك يشتركون في بلد واحد ويملكون هوية واحدة.

فكل الكتب التي ألفها إدوارد تلخص نهجه وطريقة تفكيره الإنسانية، فشعور الضيق لازممنذ طفولته، فعند ولادة إدوارد سعيد في سنة 1935، كانت القدس تحت الانتداب البريطانيومن هذا المنطلق نستنتج بأن إدوارد نشأ نشأة مضطربة فلسطينية مسيحية، تميزت بتغيرات سياسية وثقافية، وهذا ما شكّل عنده صعوبات في التماهي مع أي شخص محدد، فنشأ فلسطينيا، وتلقى تعليمه في مدارس أجنبية وعاش حياته في الولايات المتحدة، ورغم تغربه عن وطنه واستقراره في بلد آخر إلاّ أن هذا لم يؤثر ولو بالقليل من حبه وتعلقه بوطنه بل على العكس زادت محبته ونخوته واهتمامه بقضية بلده فلمانادته فلسطين لبّى النداء، فمسيرة إدوارد هي مثال صارخ لمايمكن أن يقوده تفكيره في القضية الفلسطينية، وكتابه القضية الفلسطينية والمجتمع الأمريكي خير دليل عن ذلك.

عند النظر إلى تاريخ إدوارد يتوجه فكرنا إلى المقاومة الثقافية، وذلك من خلال قيامه بالنقد «ولم تكن مقاومة إدوارد من النوع الهين الذي تعلو فيه نبرة السخط فقط، إنّما كانت تستجيب لشرطه الاجتماعي والإنساني»[1] أي أن إدوارد لم يكن يتكلم فقط من فراغ بل كان يدافع عن الإنسانية وخاصة عن حق الإنسان الفلسطيني حيث كانت مقاومة إدوارد ذات طبيعة مركبة يستحيل الوقوف على تفاصيلها، لأنها طالت كل مجالات حياته وهي نابعة من قناعته الشخصية[2].

دافع إدوارد على اللاجئين وعلى المقيمين في فلسطين، وكان ضد الهيمنة ومتضامنا مع مختلف النضالات ضد الظلم، مثل نضال الأفارقة، وطالما دافع عن هويته الفلسطينيةاستطاع إثبات أنه فلسطيني الأصل.

---

[1]– وحيد بن بوعزيز، ثقافة المقاومة، ومجموعة من المؤلفين ، ثقافة المقاومة ،منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية،2016، ص 323.

[2]– المرجع نفسه، ص 324.بتصرف

إدوارد سعيد والقضية الفلسطينية:

كان للمفكر الفلسطيني الأمريكي دور بارز في دعم القضية الفلسطينية على المستوى الفكري والنضالي، تاركا بصمة لا تمحى في تاريخها الحديث فمن مساهمته الفكرية، تأليفه لكتاب مسألة فلسطين عام 1979 الذي أصبح من أهم الأعمال التي تناولت القضية الفلسطينية من منظور تاريخي ثقافي حيث نقد فيه الرواية الصهيونية التي تنكروجود الشعب الفلسطيني وتاريخه ومن مساهماته النضالية نذكر مشاركته في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني يقول إدوارد« إن القضية الفلسطينية هي صراع عربي إسرائيلي بالنسبة للكثيرين الذين تقف ثقافتهم السياسية عندما يشاهدون على شاشة التلفزيون المسميات التي تطلق على هذا الصراع كمشكلات الأمن أو النزاع حول الحدود»[1]، من وجهة نظر إدوارد أن القضية الفلسطينية ليست مشكلة نزاع على الحدود فقط بل هي مشكلة محاربة وطمس الهوية الفلسطينية العريقة التي يجب على أفرادها الدفاع عنها وعدم التخلي والاستسلام للاحتلالي، وبالأخص هؤلاء الفلسطينيين المنفيين الذين يعيشون لاجئين ومتشردين في الشتات عليهم أن لا يخضعوا للهوية الغربية والانحلال فيها بل عليهم المقاومة من أجل هويتهم الأصلية « فالذين بقوا داخل إسرائيل عاشوا حياة النفي والاغتراب، بينما فلسطينيو الخارج تاهوا بين الأحراش القاتلة بالسياسات العربية غير أن شعور الفلسطينيين بهويتهم الذاتية لم ينقطع منذ عام 1880 أي منذ الهجرة اليهودية إلى فلسطين»[2]نستخلص من هذا القول أن الفلسطينيين المنفيين في خارج وطنهم لن ينسوا هويتهم الأصلية الفلسطينية رغم تعرضهم للضغط وارغامهم على الذوبان في ثقافة الدول العربية أو غيرها، «فإن انتشارهم خارج فلسطين قد

[1]– إدوارد سعيد، المسألة الفلسطينية، مجلة العربي ، الكويت ،العدد 295، 1983، ص 179

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يحمل في طياته بذور الخطر بأن يطلب منهم كحل شامل للأزمة، الذوبان في الكيانات العربية المجاورة لفلسطين»[1]

نرى أن إدوارد دائما ما يتكلم على المنفيين والمشتتين الفلسطينيين وهذا راجع إلى الحياة والتجارب الذي عاشها كمنفي ومتغرب عن وطنه بالرغم من الشتات والقيود ومحاولات التدين والاحتواء والتحجم استطاع الفلسطينيون الاحتفاظ بوحدتهم الوطنية ووحدة آمالهم وانتماءهم لفلسطين ويورد إدوارد مثلا على صمود فلسطين الخارج «قد استطاعوا أن يجتمعوا بصورة رائعة حول رمز وحدتهم الوطنية ... منظمة التحرير الفلسطينية تدير الكفاح الفلسطينيين منذ الصحوة الفلسطينية لعام 1965 الذي يسميها إدوارد بصحوة الأمل».[2]

عاش إدوارد شعور المنفي والتغرب حتى أنه عاش انشطار الهوية التي بدأت من اسمه "تعود جذور هذه الإشكالية إلى ردود الفعل التي كان يتلقاها عند سماع اسمه، مما أدى به إلى التعبير عن هذه القضية في احدى مذكراته "خارج المكان" يقول إدوارد«اكتشفت أني أمام خيارين اجابه بهما أسئلة أو ملاحظات شكلت بالفعل سياق تحد واعتراف وهتك من نوع ما أنت، ولكن سعيد اسم عربي هل أنت أمريكي وكذلك وجد دائما إدوارد مشكلة في لهجته "فأنا لم أعرف أبدا أية لغة لهجت بها أولا: أهي العربية أم الإنجليزية ولا أي منهما هي يقينا لغتي الأولى، ما أعرفه هو أن اللغتين كانتا موجودتين دائما في حياتي الواحدة منهما ترجع صدى الأخرى». [3]

من خلال هذا الاقتباس نلاحظ الانشطار الهوياتي الذي لازم إدوارد في حياته سواء في اسمه أو لهجته

---

[1]– المرجع نفسه، ص181.

[2]– إدوارد سعيد، غياب خارج المكان، العدد23، 2003،ص187.

[3]– فوزي لدزر، إشكالية الهوية وجدلية الذاكرة والهجنة في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، جامعة المدية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، 2021–2022، ص142.

2.2 الهوية المتشظية عند فرانز فانون

فرانز فانون هو « طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي ولد في فور –دوفرانس في جزر المارتينيك عام 1925م، خدم في جيش فرنسا الحرة خلال الحرب العالمية الثانية محاربا للنازيّين ثم التحق بالمدرسة الطبية في ليون، وعمل كطبيب عسكري فرنسي في الجزائر إبّان فترة الثورة الجزائرية ثم انتقل للعمل كرئيس للقسم النفسي في مستشفى بليدة " جوانفيل " وعمل سرا مع جبهة التحرير الوطنية الجزائرية، ثم علنا بعد استقالته في عمله في المستشفى حتى توفي ودفن في مقبرة مقاتلي الحرية الجزائريين عام 1963م»[1]هو زنجي أسود البشرة من مستعمرة يحمل سكانها الجنسية الفرنسية، عان في بلده شعور المذلة والهوان من وجود الاستعمار الفرنسي، ولكن ثقافته وعقله النيّر جعله لا يحقد على الاستعمار في وطنه فحسب، بل في العالم كله، شارك في أعمال طلبة المستعمرات واتّصل بالمناضلين السياسيين، وهناك عمق شعوره الثوري ومن مراقبته للثورة أدرك بشاعة المستعمر حيث رافق فانون ثورة الجزائر منذ بدايتها وآمن بأنها ثورة خيرية إنسانية أصيلة، لن تنحصر في أرضها بل سترتد أصداؤها افريقيا كلها[2]، ومنه نستنتج هذا التعريف أن مشكلة الهوية عند فرانز فانون تبدأ أيضا من نفسه لأنه زنجي تعرض للعنصرية بسبب ذلك بالإضافة إلى معاناته من الاضطهاد الاستعماري وهذا ما جعله يقول: « عندما أتحدث إلى من يحبونني يقولون أنهم يحبونني على الرغم من لوني، وحينما أتحدث إلى من يكرهونني يتعذرون بأنهم يكرهونني بسبب لوني، وفي الحالتين أجدني حبيس الحلقة اللّعينة إيّاها»[3]، وهذه نبذة تصف مرارة العنصرية التي تعرّض لها فانون، وبالرغم من التمييز العنصري الذي واجهه إلاّ أنه قد "توهم أن بوسعه التغلّب على هذا الحاجز (اللّون) بتطوّعه في الحرب بخدمة الجيش الفرنسي وأصبح يعيش في أوروبا منذ عام 1944، ودرس الطب وعلم النفس[4]، ولكنه مازال

---

[1]– فرانز فانون، معذبو الأرض، مدارات للأبحاث والنّشر، ط2، القاهرة، يناير 2015م، ص 08.

[2]– المرجع نفسه، ص 12 بتصرف.

[3] – المرجع نفسه، ص 39.

[4] – دافيد كوت، فرانز فانون، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، سنة 1971م، ص 09– بتصرف.

يعاني من العنصرية وعدة الزنوج، فهو في نظر الفرنسيين هجين (أسود)، وفانون كغيره من الزنوج الذين عانوا من العنصرية فالإمبراطوريات الاستعمارية كانت تخشى من الجنات البيولوجية والفكرية وتنتجها أيضا حيث أن السياسات التعليمية الاستعمارية تهدف إلى إنشاء سكان محليين متأثرين بأوروبا أو حسب كلمات ماكاولي الشهيرة مجموعة من الأشخاص دمها ولونها هندي، لكن ذوقها ورأيها وأخلاقها وفكرها بريطاني[1]، وعليه مما ارتقى السود والزنوج في سلّم العلم والمراتب ستظل نظرة الاستعمار والأوروبيين نظرة دونية وتصفهم كعبيد. ولهذا أدرك فانون أن الهوية لا تأتي إلا بالعنف والمقاومة، وهي لا تمنح تلقائيا، فاعتبره كأداة للحصول عليها، ارتبطت الهوية عند فرانز فانون كذلك بالاغتراب فقد «وصف الإنسان الزنجي بأنه يفعل كلّ ما بوسعه حين يصل إلى فرنسا لكي ينفي هويته الزنجية، فتراه يقول متباهيا أن الزنوجة إفريقيون، أما هو فإنسان مهذب تشرّب الحضارة الأوروبية وإن كان ملونا»[2]أي أن الإنسان الزنجي يريد التخلص من هويته الأصلية وأن يلبس هويته مزيفة، وهذا ما يرفضه فانون، إلاّ أنه يرى أن الهوية المفروضة على السود هي هوية مستلبة، ولا تختلف حالة المستعمر عن حالة الزنجي، فكليهما منزوع الهوية، ومتعرضي للاستغلال والظلم، لهذا انظّم فانون إلى الثورة الجزائرية،« فهو لم ينظر إلى الاستعمار من الزاوية الطبقية فقط، مهملا للزاوية الوطنية والقومية»[3]، أي ثورة فانون هي ثورة اجتماعية أكثر من أنها وطنية،«وقد استمرت هذه النظرة عند فانون إلى 1955،إذ نجدها في كتاباته مثل كتاب من أجل الثورة الافريقية.

أدرك فانون تماما حقيقة الاستعمار وانتقد في أعماله الدول الإفريقية المستقلة حديثا اعدم فعلها أكثر من اتباع نموذج أوروبي، كما أنه يرفض النزعة الإنسانية القائمة على أساس الاستعمار وأثاره على الشعوب المستعمرة، لطالما أراد فانون من الدولة الإفريقية التخلص

---

[1]– آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، سنة 2007، ص 177.بتصرف

[2]– فرانز فانون، معذبو الأرض، المرجع السابق، ص 46.

[3]– محمد الميلي، فرانز فانون، والثورة الجزائرية، وزارة الثقافة ،الجزائر العاصمة 2007 ص36.

من التبعية للقوى الأوروبية وذلك سياسيا واقتصاديا واجتماعيا »[1]، يبرهن فرانز على أن من واجب البلدان المحتلة النهوض والتغيير والتخلص. من التبعية والانقيادية للدول الأوروبية وذلك لتخلص من هذه المعيشة التي هي أشبه بمعيشة الحيوانات كما أن فانون عاش شعور الاغتراب والهجنة وهذا أصبح من أهم أسباب تزعزع الهوية بالنسبة له،ففانون يرى بأن الهجنة ما هي إلا رحلة للبحث عن هوية جديدة والعيش فيها أي تقبل هوية أخرى ونسيان الهوية الأصلية وهذا ما رفضه وندد به فرانز : فالهوية عنده هي مجموعة من القيم والمعتقدات المتعلقة بالهوية القومية أو الثقافة القومية، ولهذا كثيرا ما نجد أن فانون دائما ما يربط بين الهوية والثقافة القومية التي يعرفها بأنها مجموعة من العادات والتقاليد والقيم التي تميز بها شعبا عن آخر، فإذا . تغرب الشخص نسي عاداته وتقاليده وقيمه الأصلية فبذلك كأنه تخلى عن هويته، وبالتالي يصبح منقسما بين هويتين أصلية والأخرى مكتسبة فرضت عليه عن طريق اغترابه، ويشير فرانز بأن المستعمر هدفه الأساسي وهو فرض هويته وأفكاره وعاداته على الشعوب المستعمرة فيصبحون كأنهم عبيد. ف «الرجل الابيض هنا هوا المستغل المستعمر الذي يتلون احساسه ازاء الناس بمجرد شعوره امامهم انه من غير بشرتهم وبانه لم يتميز بنفس الون الجلد فهو ماميز المدنية و الذكاءوالحضارة والتقدم والتحرر»[2]ذا القول ندرك بأن قانون يرفض الهوية المغتربة ويؤكد على أن الهوية الأصلية للفرد تتكون من عرقه ولغته ودينه الأصلي.

و في الأخير نستخلص بأن فانون يمتلك هوية متشظية أي أنها ضائعة،ظل يبحث عنها فهو فرنسي انضّم لصفوف الجيوش الجزائرية وعانى من التمييز العنصري في بلاده فحاله كحال إدوارد سعيد الذي عاش كرجل شرقي ومواطن أمريكي في الو. م.أوفانون كذلك عاش كمواطن أجنبي أصوله فرنسية مقاوما مع الثورة الجزائرية ويحس بانتمائه إلى الجزائر، وهو بذلك عاش صراعا داخليا حول هويته

[2]– عبد الحميد حيفري، فرانز فانون، بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، دار الجزائر،2007 ،ص17

الثقافة هي أحد أساليب المقاومة بحيث يربطها فانون دوما في كتاباته بالاستعمار،ومثال ذلك كتابه معذبو الأرض، فهو يحلّل فيه طبيعة الاستعمار بأنه يلحق ضررا نفسيا بالشعوب المستعمرة، ممّا يخلق من الاغتراب، وهو وسيلة لممارسة العنف، كما يؤكد فيه دور الثقافة الوطنية في بناء هوية قوية للشعوب المستعمرة، ومن القضايا التي عالجها أيضا في كتبه نذكر "قضية انغراس لغة المستعمر واستخدامها من طرف المستعمرين وهذا متعلق بالهوية، فاللغة كما تناولنا سابقا هي أهم عنصر لبناء الهوية يؤكد فانون على دور اللغة كعنصر أساسي في بناء الهوية، حيث أنها تميز شعبا عن آخر كما يؤدي استخدام لغات المستعمرات إلى ابتعاد الشعوب عن ثقافتها ويفقدها هويتها الوطنية، وبذلك يصبحون مستعمرون غرباء عن أنفسهم وعن مجتمعاتهم، حيث ينتمون إلى ثقافة المستعمر، وليس إلى ثقافاتهم الأصلية كما تحدث فرانز عن ذوي البشرة السوداء.

« يسعى فرانز إلى استبعاد مسألة الهوية النقية التي لا أساس لها عبر التاريخ، فهي الأداة الوحيدة التي تمكن الغرب الضغط على شعوب العالم »[1]أي أن فانون ضد الهوية النقية التي تعني أن الفرد أو الجماعة يمتلكون هوية ثابتة لا تتأثر بالعوامل الخارجية فالهوية عنده «هي السمة الملازمة للإنسان الذي لا يمكنه التجرد منها، وهي منقسمة إلى الهوية الداخلية التي تتمثل في الثقافة ممّا يحمله من دين ولغة، والثانية تتمثل في الشكل الخارجي كالعرق ولون البشرة، والنوع الأخير هو الأكثر تأثيرا، والهوية تكتشف من خلال الصورة الخارجية للإنسان»[2]يرى المفكر الثوري فرانز أن الهوية تتكون من عنصرين عنصر إيديولوجي وعنصر جسدي ظاهري فعلى الفرد (المستعمر) إدراك ماهية الهوية وأهميتها، ومثال ذلك جواز السفر الذي يعد رمز لماهية الشعوب.

كان فانون معاديا للاستعمار وخاصة لما انخرط في الصفوف الثورية الجزائرية، فقد حارب فانون المستعمر الفرنسي ليس كمواطن أو أسود فرنسي فقط بل كمثقف فرنسي يحارب أبناء وطنه وهذا لما عاناه من عنصرية في بلده وكذلك لما وجده عند الشعب الجزائري،«فكثيرا ما

[1]– دافيد كوت فرانز فانون ترجمة عدنان الكيالي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، 1971 ص9

[2]– المرجع نفسه، ص10.

كان فانون يتعاطف مع الشخصية الجزائرية بهذه الصورة النضالية الفريدة التي تتسم بها... فعامل الدين، كان بارزا لدى الشخصية الجزائرية وعامل القومية... »[1] أعجب فانون بالشخصية الجزائرية القومية فشعب الجزائري متعلق بوطنه ودينه ولغته ولم يخضع للاستعمار الفرنسي وهذا ما دفع فرانز عن الهوية الجزائرية.

لقد قدم فانون كثيرا للثورة الجزائرية، حيث شارك في تركيب قوائمها التأسيسية وقدم تحليلات عميقة وألف كتب مقالات ساهمت في نشر الوعي الثوري بين الجزائريين.

« لقد برز فانون في كتابه الحقد الدفين للغرب اتجاه شعوب افريقيا واتجاه هذه القارة بحيث يرونها مأوى للمتوحشين وآكلي لحوم البشر والزنوج»[2]فكثيرا ما نرى أن فانون يندد بالاستعمار وبالغرب الذي يدعي العلم والسلام وينقد نظرتهم ورأيهم اتجاه شعوب افريقيا وخاصة السود الذينيدعون أنهم مشردين همجيين ولكن على العكس من ذلك هم فقط رفضوا الاستعمار.

[1]- محمد الميلي ،فرانز فانون ،الثورة الجزائرية ،وزارة الثقافة العربية، الجزائر العاصمة، 2007، ص75.

[2]– عبد الحميد حيفري، المرجع السابق، ص28

الفصــلالثاني:الصراع الهوياتي في رواية بينما ينام العالم لسوزان أبو الهوى

المبحث الأول: الصراع الهوياتي في أدب الشتات الفلسطيني

1. سؤال الهوية في الأدب الفلسطيني

2.أهم الروايات الفلسطينية ما بعد الاستعمارية

المبحث الثاني :تجليات أزمة الهوية في رواية بينما ينام العالم

1.الهوية المتشظية في شخصيات الرواية

2.تجاذبات الهوية والهجنة في رواية بينما ينام العالم

المبحث الأول: الصراع الهوياتي في أدب الشتات الفلسطيني

1.1 سؤال الهوية في الأدب الفلسطيني:

عُرف الأدب الفلسطيني بأنه أدب ملتزم، فلطالما تناول الاديب قضية وطنه في أدبه سواء كان في الشعر أو النثر، فهو بذلك أدب مقاوم بامتياز سواء كانت تلك المقاومة سياسية أو ثقافية فمنذ عقد الثلاثينات والتاريخ الفلسطيني يزخر بأشكال متعددة من مظاهر المقاومة الثقافية، والمسلحة، فإذا كانت الثورات المسلحة التي خاضها الشعب الفلسطيني قد أنتجت أسماء من طراز عز الدين القسام مثلا ،فإن الأدب الفلسطيني المقاوم قد أنتج قبل ذلك ومعه وبعده مثل ابراهيم طوقانفقد جعل الفلسطينيون أدبهم سلاحا فكريا لمقاومة الاستعمار الصهيوني[1] وهذا ما يعزز الحضور المتكرر للشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني وتصويرها كخصم يستولي على حقوقهم الوطنية ،وهذا نجده في كل الروايات الفلسطينية سواء المكتوبة باللغة العربية أو بلغات أخرى وفي كل الأجناس الأدبية الفلسطينية المكتوبة داخل فلسطين أو خارجها مثل: أدب المنفى فهو كذلك يعد من الأدب المقاوم للاستعمار الصهيوني حيث كتب من طرف أدباء فلسطيين نزعوا من وطنهم وتغربوا عنه ومن بينهم، أدب إدوار سعيد،محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد وغيرهم من الأدباء الذين أثرت أعمالهم في القضية الفلسطينية « فالأديب الفلسطيني هو جزء من شعبه ويحمل هموم مجتمعه[2]»،ومنه تمكن المبدع الفلسطيني من نقل القضية إلى العالمية.

ولم تكتف المقاومة الأدبية بكُتّابها من الرجال فقط فكان للمرأة كتاباتها كذلك دور في المحاربة من أجل القضية الفلسطينية والرقي بها مثل: الكاتبة سحر خليفة، سوزان أبو الهوى، ليانة بدر وغيرهن من الروائيات اللواتي انشغلن بقضية وطنهن على عكس الروائيات اللواتي انشغلن بالقضية النسائية ومحاربة الرجل ... الخ، ومنه نقول أن الأدب الفلسطيني

---

[1]–غسان كنفاني– الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال– مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 1968م، ص 10.بتصرف

[2]– محمد ياسين رحمة، الأدب الفلسطيني في مواجهة الكيان الصهيوني، مجلة الأيام، 2024م.

هو أدب انتمائي بالدرجة الأولى فلا تكاد تخلو رواية من ذكر القضية رغم محاربة الاستعمار لهؤلاء الأدباء « وفي الوقت الذي كان فيه العشرات من المثقفين الفلسطنيين العرب يتلقون هذه الأوامر في حزيران الماضي كانت دوريات الشرطة الإسرائيلية تجمع عشرات من الأدباء والشعراء العرب في فلسطين المحتلة وتودعهم السجون »[1] ومنه نستخلص أن إسرائيل كانت ضد هؤلاء المثقفين من أمثال غسان كنفاني الذين كرسوا حياتهم من أجل هذه القضية.

إن الأديب الفلسطيني متعلق بأرضه وهويته، فكثيرا ما نجده يعزز هويته الفلسطينية ويذكر تاريخ وطنه وإنجازات أبطاله حيث يسعى جاهدا لتجسيد تجربته الشخصية وتجربة شعبه في مواجهة التحديات والصراعات وذلك بغية الحفاظ على هويته الوطنية ومثال ذلك: كتابات يوسف الخطيب. وليس فقط الهوية الوطنية بل كذلك الهوية الثقافية أي كل ما يرمز لفلسطين وعاداتها وتراثها الغني الذي يعتبر عنصرا أساسيا في تشكيل الهوية، وأيضا: رواية رجال الشمس التي نجد فيها الكثير من الرمزيات الثقافية الفلسطينية، وكذا رواية بينما ينام العالم...الخ. وكذلك نجد الكتاب الفلسطينيين يسعون للحفاظ على الهوية الفلسطينية فدائما ما يربطون بين الهوية والأرض وهذا ما نجده في كتاب " ثقافة المواجهة" وهو يقرّ بأن العلاقة بين الإنسان وأرضه هي علاقة متينة ... أي الأرض هي الوجه الآخر للشخصية الوطنية، فالإنسان عامة متعلق بأرضه كأنها تمثله وتمثل شخصيته وهذا ما ينطبق على الإنسان الفلسطيني فأرضه تمثله وتمثل هويته ومثال ذلك قصيدة إبراهيم طوقان :

«يا فلسطين هل لديك سري أبغير ذي مطمع ولا متوان»[2]

وهذا ليس متعلق بالأديبة فدوى طوقان فقط وإنما جل الأدباء الفلسطينيين يتمنون العيش في حضن وطنهم أي أن الشعب الفلسطيني أجبر على العيش في الشتات والمنفى لذا نجد أدب الشتات الفلسطيني الذي يتناول موضوعات الهوية والانتماء والذاكرة مؤكدين على علاقاتهم بأرضهم وأصلهم الحقيقي وعلى لغتهم الذين يعتبرونها كأداة للتعبير عن الهوية.

[1]– غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، المرجع السابق، ص 27.

[2]– ابراهيم طوقان الاعمال الشعرية الكاملة دار الكلمات العربية القاهرة 2012 ص32

فتعتبر كتاباتهم وثيقة تعريفية لفلسطين وذلك خوفا من اندثار هذه العادات التي تعبر عن الهوية ومثال ذلك ذكرهم لأشجار الزيتون، وألبستهم وطعامهم إلى غير ذلك ومثال ذلك رواية بينما ينام العالم وفعلا يعيش الشعب الفلسطيني تحت وطأة ظروف استثنائية تجبره على إثبات هويته بشكل مستمر لاسيما في ظل الوضع السياسي المضطرب الذي يمر به هذا الصراع و إثبات الهوية يمثل نوعا من غريزة البقاء، حيث يحاول الفلسطينيون الحفاظ على تراثهم وثقافتهم وتاريخهم في وجه محاولات طمسها وطمس وجودهم من طرف الاحتلال .

ومن هنا نستنتج أن المقاومة لإثبات الهوية أصبحت مقاومة فكرية أكثر من أنها مقاومة تحمل العنف أي مقاومة العدو عن طريق المجادلة الفكرية التي تجعل السارد البطل يعبر عن رؤاه بالحرّية غير متردد من أن يصف الإسرائيليين بالأصدقاء منتقدا إياهم أي أن المبدع الفلسطيني أصبح يقاوم العدو عن طريق مجادلته فكريا وعن طريق إثبات أن هويته الثقافية ممتدة ومن قبل عصور أي قبل أن تقام دولة تدعى بإسرائيل على عكس الهوية الفلسطينية المتجذرة فمن أجل التحلي بالهوية الثقافية سعت الرواية الفلسطينية الراهنة إلى تناول خلفيات الإنسان الفلسطيني، ومثال ذلك " الروائي ابراهيم نصر الله في روايته " أعراس آمنة " وهي رواية متعددة الأصوات أي الآراء وفيها يكثر السارد من ذكر أسماء القرى والمدن من دون ذكر فلسطين

ومثال ذلك الكاتب إميل حبيبي الذي اشتهر بروايته الوقائع الغريبة التي تعرف باختصار باسم المتشائل،هي أول تجربة روائية لصاحبها الذي وظف فيها التراث كالتراث الفلسطيني كالحكايات القديمة ...الخ، ‹‹ذهبوا وافتتحو حيفا فحيفا ليست مدينة جديدة يابني مدينتك حيفا لاتختلف عن بقية مدننا المقدسة››[1] وبهذا فهو يسعى إلى تعزيز الهوية الفلسطينية وتصوير معاناة الفلسطنيين والتأكيد صمود الشعب المناضل في وجه الاحتلال حيث جعله أداة لنقد الواقع المعاش مثل علي فودة و روايته الفلسطيني الطيب: ‹‹تستند الرواية إلى قصة حقيقية عاشها الكاتب في السجون الإسرائيلية، حيث تسجل معاناته فيها، وهي رواية ترمز للنضال

[1]– اميل حبيبي، المتشائل، دار ابن خلدون، بيروت، ط،2، 1989، ص37

الفلسطيني فأصبحت الرواية تمثل صورة مكثفة لحياة الفلسطيني، المقيدة بجدران الظلم والقمع والتنكيل››[1]

وعليه نستخلص بأنه يوجد الكثير من الروائيين الذين قدموا من خلال أعمالهم صورة عميقة للهوية الفلسطينية في الشتات فلم ينس هؤلاء وطنهم وهويتهم والدفاع عنها وهم في الغربة يمكننا القول بأن الهوية الفلسطينية تمثل جزء أساسيا من تجربة العرب في فلسطين، وترتبط بالقضية الوطنية والإنتماء للأرض والشعب.

ساهم الأدب الفلسطيني في توثيق الوعي الثقافي والوطني، وذلك بتجسيد عدة أدوات التي ترمز وتعبر عن الهوية الفلسطينية ونذكر من بينها الحكايات الشعبية التي تعد عنصرا هاما من عناصر التراث ومثال ذلك رواية يا ضبي الجبل، التي تحكي حكاية يصور فيها الشعب الفلسطيني الإحتلال، وبهذا أصبحت من العناصر الهامة في الأدب الفلسطيني للتعريف بالتراث الثقافي للوطن، وكذلك الأمثال الشعبية الذي يلعب جزءا محوريا في تجسيد الهوية، والتعبير عن الرأي، بالإضافة إلى الأغاني الشعبية، وهي بدورها تعبّر عن مشاعر الشعب الفلسطيني وهويته الوطنية وأيضا المسرحيات التي هي مرآة تعكس الصراع الموجود في الوطن وتعبر عن القضايا الاجتماعية والسياسية، مثل مسرحية " زياد رباح " المتشائل : هي مسرحية فلسطينية شهيرة أنتجت عام 1978.

الأدب الفلسطيني هو جزء محوري من الوثائق الوطنية التي تعبر عن مشاعر الفلسطيني، بكل صدق ووضوح، وإلهام للأجيال القادمة على الصمود والنضال من أجل الحرية والاستقلال، وهو يحمي الذاكرة الجماعية الفلسطينية من الاندثار‹‹ إن احساس الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده بالانتماء إلى الوطن المسلوب وبالغبن التاريخي الذي وقع في حقه وبالاستمرار بتمسكه بالرواية واحدة تؤكد حقه بالعودة والمقاومةفهي بمجملها عناصر تغذي الهوية الفلسطينية ››[2].

[1]– عبد الرحيم مراشدة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 29، 2015، ص09

[2]مجدي المالكي، التحول في الهوية الفلسطينية وتجلياتها في ضوء تشرذم المجتمع الفلسطيني، مركز للابحاث والدراسات ص23

2.1 أهم الروايات الفلسطينية ما بعد الاستعمارية:

لقد أصبح السرد بمثابة ملّمة للشتات ونعرات العصبيات، يقوم بدور مرايا متحركة تعكس عوالمنا الداخلية والخارجية، وهذا هو حال الرواية العربية عامة، والفلسطينية خاصة، فهي التي تحمل لفلسطين معالم الثقافة والهوية، وقد تناولت قضايا متعددة كالمنفى والمقاومة وأدب الشتات ،وعلى ضوء هذا نتحدث عن بعض الروايات ما بعد الاستعمارية مثال:

1/ رواية صيادون في شارع ضيّق:

كتب ابراهيم جبرا في هذه الرواية باللغة الانجليزية عام 1955م في لندن، بحيث أنها تعبّر عن ظروف الكاتب الذي عاش قساوة المنفى والغربة وبطل هذه الرواية هو جميل فران، تدور أحداث هذه الرواية في الشارع الرشيد في عاصمة بغداد، تعكس أحداثا سلبية اجتماعية ثقافية في بغداد، تبدأ الرواية بوصول جميل فران إلى بغداد للعمل كأستاذ للغة الانجليزية في إحدى كليات بغداد، وذلك بعدما اضطر لمغادرة فلسطين بسبب أزمة الـ 48 مع العلم أنه حين وصوله لبغداد لم يكن يملك المال الكافي ليعيش به وخلال استقراره في أحد فنادق بغداد يلتقي بحسين عبد الأمير أول المتسللين للمشاركة في رسم حبكة مكتملة للرواية في شارع المقاهي والبغاء، وحسين يكتب الشعر، يعرّف جميل فران بصديق له يدعى عدنان طالب يتسلل فيما بعد بريان الشاب الانجليزي الذي لديه دراية بالآثار كأي مستشرق جاء إلى بلادنا ليعرف كل تفاصيله، عندما يسافر إلى انجلترا، ستكون بغداد بالنسبة له كتجربة أو استكشاف عكس أهل البلاد فقد ترسخت في ذاكرتهم كتاريخ متين يصطحبه عدنان ليعرفه على بغداد من الداخل حيث المدينة الفقيرة، ويشرح له معاناة الشعب الذي قبل بالعبودية من طرف حكّام الخارج.

في هذه الرواية التاريخ يعيد نفسه فما حدث مع الصيادين في ذلك الشارع الضيق يحدث الآن في شوارع القدس الضيقة وساحات المسجد من اقتحامات بمناسبة ما يسمى ذكرى نزول التوراة العبري[1]

وعليه نلاحظ أن هذه الرواية تتميز بغموضها الشديد وهذا ما يصعب على القارئ فهمها بشكل واضح، حيث يقدم جبرا ابراهيم صورة متشائمة في تلك الفترة، وقد رسم لوحات أقوى القادة، وهي تختلف عن الرواية التقليدية من حيث بنيتها، وكل شخصية من شخصياتها لها دورها الفعّال في الرواية، فجميل فران هو المثقف الفلسطيني الذي يعاني من صراع الانتهاء وكذلك سليمة امرأة عراقية متزوجة من رجل ثري لكنّها تبحث عن الحب وفريال فتاة عراقية متحررة وأبو صقر وهو شيخ تقليدي عراقي يمثل جيل الماضي بالإضافة إلى الدكتور عزيز طبيب مصري مثقف يمثل جيل التقدّم، وكل هذه الشخصيات ترمز للهوية والانتماء، وصراعات المجتمعات.

[1]– بديعة النعيمي– متاهات الكلمة وأصالة الهوية، دراسات نقدية في الأدب الفلسطيني، بديعة علي حسن النعيمي للنشر، ط1، عمان، 2023م، ص 109–110 بتصرف.

2/رواية رجال في الشمس:

هي الرواية الأولى لغسان كنفاني، صدرت عام 1963 في بيروت، كتبت باللغة العربية وهي رواية قصيرة تستلهم تجربة الموت الفلسطيني وتحيله إلى سؤال يتردد صداه في الصحراء الغربية[1] فالرواية تتكلم عن تأثيرات النكبة سنة 1948 على الشعب الفلسطيني بحيث أنها تصف هذا الأخير على أنه لاجئ «تروي قصة ثلاث فلسطينيين من أجيال مختلفة تجمعهم ضرورة إيجاد حل مشترك لمشكلة الإنسان الفلسطيني وأوضاعه المزرية نتيجة الاستعمار»[2] تبدأ الرواية بشخصية أبو قيس وهو الرجل العجوز المتعلق بوطنه وترابه وهذا يظهر عند إحساسه بالرّاحة لمّا يرمي بنفسه في تراب فلسطين، ويشم رائحة أجداده، ثم يظهر الأستاذ سليم الذي غادر وطنه واشتاق إليه، ويتبيّن ذلك في الحوار الذي دار بينه وبين أبو قيس، أما الشخصية الثانية أسعد الذي كان واقفا أمام الرجل الذي يتولى تهريب النّاس من البصرة إلى الكويت، وهذا الأخير أراد أن يقنع أسعد بالهروب من الوطن وذلك بخمسة دينار، وانتهى هذا الإلحاح باقتناع أسعد ومحاولته جمعه المال.

والشخصية الثالثة هي مروان الذي كان يائسا من وطنه وحالته المعيشية وأثناء سيره في الطريق التقى بأبي العبد المعروف بتهريب النّاس من الوطن وهذا الأخير قام بإقناعه على الهروب بسؤاله «لماذا تريد أن تسافر إلى الكويت؟ أريد أن أشتغل أنت تعرف كيف تجري

[1]– غسان كنفاني، رجال في الشمس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، عام 1963، ص 4.بتصرف

[2]– المرجع نفسه، ص 04.

هناك ....»[1] وهنا يجيب أبو الخزيران ويطمئن مروان بأنه يستطيع تهريبه دون أن يلحق به أي ضرر «أستطيع أن أهربك إلى الكويت

كيف؟

هذا شأني ...

موافق

ولكننا سنحتاج إلى عدد آخر من المسافرين»[2].

فخطر ببالهم أبو القيس الذي كان يتمنى الهروب من الوطن فتطورت أحداث الرواية عندما اتفق هؤلاء وصعدوا في شاحنة أبو خزيران، التي كانت لنقل المياه وهي شاحنة مخصصة للتهريب، والتي كان يتواجد بها خزان كبير في مؤخرة الشاحنة، فكان الاتفاق مع السائق أن يختبؤوا في الخزان عند المرور بنقطة التفتيش فعند الوصول إلى الحاجز الأخير، مكث السائق وقتا طويلا في حديثه مع الجنود، والرجال يختبؤون في الخزان حتى اختنقوا وماتوا الرواية حول هدف الوصول إلى الكويت، ولكن لم تتحقق هذه الرغبة فالرّجال الثلاثة يموتون دون الصرّاخ وهذ يرمز إلى الصراخ المفقود لدى الفلسطينيين وصوتهم الذي ضاع في خيام التشرّد، وهذا ما نستنتجه في السؤال الأخير، لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟ كُتبت هذه الرواية في فترة اشتدّ فيها القمع وقد حُوّلت إلى فيلم سنيمائي بعنوان المخدوعون لتوفيق الحكيم [3].

[1]– المرجع نفسه ص 19.

[2]– المرجع نفسه، ص 22.

[3]–غسان كنفاني، رجال في الشمس، المرجع السابق، ص 03. بتصرف

3/ رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني 1970:

تعدّ سنة 1967 سنة مظلمة على العرب عامة و على الفلسطينيين خاصة، وذلك بسبب احتلال سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان من طرف العدو الصهيوني، فلم يبقولا بصيص أمل في استرجاع فلسطين، فالرواية تدور أحداثها بعد هذه النكسة .

فبعد أن تأكدت إسرائيل من دعم الدول الأوروبية الأمريكية لها، وضعف الدول العربية كاملة اطمأنت، ولجأت إلى فتح حدودها لعرب فلسطين الذين لاذوا بالفرار في سنة 1948 لزيارة أهاليهم الذين بقوا فيها.

تحكي الرواية عن أسرة فلسطينية هربت وتركت وراءها طفلا رضيعا بعمر الخمسة شهور في منزلها بحيفا وكان ذلك في عام 1948، وبعدها عادت الأسرة لزيارة منزلها وتتكلل الرواية بالرجوع إلى الماضي وتستذكر أحداث الهرب من حيفا، وترصد الاختلافات بين الماضي والحاضر، والمتباين هو أن حيفا لم تتغير إلاّ أن سكانها أصبحوا أغلبهم من اليهود الأوروبيين المهاجرين، ولم تزد إسرائيل إلا قوة وتوسعا واختفاء عدد كبير من الأراضي العربية مما أدى إلا ذلك من زيادة ضعف العرب– حيث أننا نجد في الرواية عتاب كبير وتحميل مسؤولية ضياع فلسطين من الفلسطينيين نفسهم وذلك بسبب هروبهم من منازلهم وسكوتهم عشرين عاما من النكبة، وتناقش الرواية كذلك المغزى التاريخي والنفسي لاستلاء إسرائيل على أراضي جديدة من ثلاث دول عربية، وتكتشف أن الداعم الحقيقي لإسرائيل هو

القوات البريطانية، ومن جديد تستعرض الرواية الماضي والحاضر لفلسطين يهربون من حيفا تاركين وراءهم بيوتهم وأطفالهم الرضع بالإضافة إلى المهاجرين اليهود الذين أتوا من أوروبا، وتقارن الرواية بين أساليب القتل الوحشي من الاستعمار الإسرائيلي للأطفال الفلسطينيين، وأساليب القتل العنصري من الألمان لأطفال بولندة في الحرب العالمية الثانية.

بعد عشرين سنة من النكبة 1948 قام سعيد الفلسطيني وزوجته صفية بزيارة إلى حيفا بعد أن سمحت إسرائيل للفلسطينيين بزيارة الأرض التي احتلتها، فشرعوا بالبحث عن ابنهما خلدون الذي تركاه أثناء الهروب، وفي الطريق وهما يتبادلان أطراف الحديث عن الاحتلال الإسرائيلي وما الذي خلفه من دمار وشتات وقتل وهدم ونهب ... الخ يكتشف سعيد المغزى التاريخي والنفسي لفتح الحدود فور انتهاء الحرب، ويندهش لما قام به الإسرائيليون، وهو توسع إسرائيل احتلالها أراضي جديدة ثم في ستة أيام والعرب عشرون عاما ولم يحركوساكنا لم يزيدوا إلاّ انهزاما وضعفا «لقد فتحوا الحدود فور أن أنهوا الاحتلال فجأة وفورا، لم يحدث ذلك في أي حرب في التاريخ»[1].

ومن هنا يتضح بأن الإسرائيليين يعرفون قيمة الزمن ، على عكس العرب الذين لا يعرفون للزمن قيمة، فهو يتقدم بالإسرائيليين ويتراجع بالعرب، فمن تقدم ازداد قوة ومن تراجع ازداد ضعفا والقوي هو السيد، والضعيف هو الخادم، يسترجع سعيد أيضا مشهدا من الماضي لهروب الفلسطينيين من حيفا سنة 1948 ومن منازلهم وعن أرضهم وفي المقابل يأتي مهاجرون يهود من أوروبا يحلون محلهم ويسكنون منازلهم، وهكذا صار الوضع بعد إخلاء حيفا من سكانها العرب، فاليهودي الهارب من تعصب الألمان راح يمارس التعصب ضد الفلسطينيين، وتكشف الرواية بأن سقوط حيفا تم بنوعين من الاستعمار البريطاني المتخفي وعصابات الهاجاناه الصهيونية، واللّوم كله يقع على الفلسطينيين لتركهم بلادهم فريسة سهلة لليهود، كما أن الرواية تقارن بين أساليب قتل الصهاينة للأطفال في فلسطين وأساليب قتل الألمان لأطفال بولندا اليهود إبان الاحتلال النازي لبولنده، وكلها أساليب استعمارية عنصرية وحشية لا تعرف معنى الانسانية، فتشاهد مريام اليهودية البولندية المهاجرة إلى إسرائيل،

[1]– غسان كنافي، عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السادسة، شوران، بيروت،2010، ص 181.

وزوجها إيفرتكوشين رمي جثة طفل فلسطيني في شاحنة قتله عصابات الهاجاناه في فلسطين«حين شهدت وهي تدور قرب كنيسة بيت لحم في الهادار، شابين من الهاغاناه يحملان شيئا ويضعانه في شاحنة صغيرة كانت واقعة هناك»[1]، وهذا المشهد يذّكر مريام بأخيها الصغير الذي قتل من طرف الألمان بنفس الوحشية فقد أطلقوا عليه النار وهو في الطريق وذلك في الحرب العالمية الثانية في بولنده، وهكذا يؤكد لنا الروائي أن الأساليب العنصرية في قتل الأطفال واحدة في كل مكان، وفي حين توزيع السكنات في حيفا من طرف اليهود، تعرض الوكالة اليهودية على المهاجر البولندي اليهودي إيفرتكوشين بيتا في حيفاء وهو يعود لبيت سعيد الفلسطيني الهارب، وطفل يتبناه هو (خلدون) الطفل الذي تركه والده سعيد عند هروبه، والذي يسميه بعد ذلك دوف.

وبعدها يعود بنا الروائي إلى الحاضر فيصل سعيد وزوجته صفية إلى منزلهما، وبعد عشرين عاما من الزمن لم يتغير شيء إلا ابنهما الذي صار شابا وضابطا في الجيش الإسرائيلي حينها يشعر حسن بندم شديد وحسرة تأكله، فهو المسؤول عن كل ما حدث فما كان عليه أن يترك ابنه ومنزله وأرضه «... كان علينا ألا نترك شيئا، خلدون والمنزل وحيفا»[2] يحدث صراع بين الأب سعيد وابنه خلدون، الذي هو دوف بسبب تركه لابنه وحيدا ومنزله ووطنه وهو بذلك مثل الفلسطينيين بصورة مهينة إضافة إلى المه القاسي لوالديه لتخليهم عنه

لتنتهي رواية عائدا إلى حيفا بخيبة أمل لخلدون (دوف) من والديه، وموافقة الأب سعيد على انضمام خالد للمقاومة والمحاربة بالسلاح.

[1]– المرجع نفسه، ص 175.

[2]– غسان كنافي عائد إلى حيفا، المرجع نفسه، ص 178

المبحث الثاني: تجليات أزمة الهوية في رواية بينما ينام العالم

تحليل عنوان رواية " بينما ينام العالم لسوزان أبو الهوى"

عند تحليلناللعنوان من حيث الشكل نجد أن الكاتبة تقصد ببينما ينام العالم هو نوم العالم بينما تستمر المعاناة الفلسطينية.وينام تدل على غفلة العالم عن المأساة الفلسطينية.

وبينما هو ظرف يدل على التزامن، ويرمز إلى استمرار المعاناة والمأساة الفلسطينية رغم غفلة العالم.كما أنها توحي إلى أن نوم العالم هو سبب استمرار المعاناة الفلسطينية، ومن وظائف العنوان هو جذب انتباه القارئ ودفعه لقراءة الرواية.

أما من حيث علاقته بالمضمونيعد العنوان بمثابة البوابة الأولى التي يدخل من خلالها القارئ إلى النص، فهو يقدم له لمحة عامة عن محتواه، ويثير فضوله لمعرفة المزيد «باعتباره عنصرا جوهريا في مكونات النص، وبؤرة دلالية قد تكون المفتاح السحري الذي يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها وحل شفراتها الملغزة، إذ يستطيع هذا المكون أن يقوم بتفكيك النص من أجل تركيبه، عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية، وأن يضيء لنا في بداية الأمر ما أشكل من النص وأغمض، وهو أيضا

مفتاح تقني نجس به نبض النص وتجاعيده وترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية على المستويين الدلالي والرمزي»[1]

فالعنوان يلخص الصراع الفلسطيني ويبرز تناقضه مع غفلة العالم، كما يشير إلى أن الرواية ستتناول القضية الفلسطينية من منظور إنساني ويثير أيضا مشاعر الاستياء من تهاون العالم على القضية.

وفي الأخير يعد عنوان رواية "**بينما ينام العالم**" عنوانا سيميائيا يجسد ببراعة مضمون الرواية ورسالتها، فهو يلخص الصراع الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الصهيوني الغاشم، كما يحمل رسالة مسؤولية وأمل، ونجد ذلك في الرواية، عند استياء يحي من الدول العربية التي لم تحرك ساكنا « نحن بحاجة إلى السلاح، أين الجيوش، العربية وهذه الكلاب تبيد بلدة بعد أخرى»[2].

[1]–إبراهيم الحجري ،الرواية العربية الجديدة السرد تشكل القيم ،النايا للدراسات و النشر و التوزيع ،ط1 ،الرباط ،2014، ص 21

[2]– سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، دار بلومزبري، قطر، ط1، 2012، ص51.

1.2الهوية المتشظية في شخصيات الرواية:

يعد مسار تطور الهوية الفلسطينية فريداً من نوعه وذلك مقارنةً بتطور الهوية عند الدول العربية الأخرى، ويعود ذلك لمجموعة من العوامل المتداخلة من أبرزها الاحتلال الصهيوني وما خلفه من دمار للشعب الفلسطيني، فقد سعى المحتل منذ البداية إلى طمس الهوية الفلسطينية وتدمير مقوماتها، وذلك عن طريق فرض ثقافته ومبادئه على المجتمع الفلسطيني بالتعسف والقوة وهذا ما جعل الفلسطيني محصورا في فكرة المناضلة من أجل عيشه وأمنه فقط، وهو بذلك أصبح يتنازل عن بعض حقوقه وعاداته في سبيل سلامه.

توزع الفلسطينيون في مختلف أنحاء العالم بعد تهجيرهم من أرضهم وهدم ديارهم ونفيهم بالقوة إلى البلدان المجاورة وخارجها، حيث يمكن العثور على الفلسطينيين في العديد من بلدان العالم مثل: سوريا، مصر، الولايات المتحدة الأمريكية، أي أصبح غالبية الفلسطينيين في الشتات العالمي، وهذا ما سبب لهم أثرا عميقا على هويتهم فهم بذلك انفصلوا عن وطنهم بعد ما كانوا متعلقين بأرضهم وأرض أجدادهم وثقافتهم وبهذا أصبحوا منقسمين بين عالمين وإيديولوجيتين مما يزيد ذلك في تعقيد مسألة الهوية وخاصة الهوية الموحدة.

نقلت لنا سوزان هذا الشعور وجسدت هذه المعاناة بصورة واضحة في رواية "بينما ينام العالم" ويظهر ذلك من خلال شخصيات الرواية وخاصة:

آمال: وهي من الشخصيات الأساسية للرواية حيث أن تشظي الهوية في هذه الشخصية يبدأ من اسمها فهو اسم يرمز للأمل والحياة السعيدة ولكن آمال وما عاشته من تحديات في وطنها وخارجه في حياتها تدل على عكس اسمها الذي بذلك يصبح آلام الدال على الألم والخيبة، وهذا يبدأ منذ صغرها فقد أصابتها شظية وهي طفلة وشوهتها وهذه دمرت أنوثتها وأصبحت وكأنها تعاني من عيب وتشوه خلقي «قال لي والدي ذات مرة لقد سميناك آمال بالألف الممدودة، لأن الاسم بالهمزة يعني أملا واحدا ،أمنية واحدة ، أنت أكثر من ذلك بكثير››[1]

هذا التجاوز بين الأمل واليأس في اسم آمال يمهد الطريق لاستكشاف هوية أمال المجزأة، إن اسم أمال بحد ذاته يجسد شمعة الأمل التي تضيء حياة البطلة وتشكل دافعها الأساسي في مواجهة الظلم والقهر فالبرغم أنه أصبح يشير إلى العكس وأصبح يشكل تناقض بين الواقع المعاش والأمل الممول إلا أن أمال رفضت الاستسلام واليأس وتحولت لرمز الصمود والمثابرة، «كان لي من العمر وقتها ست سنوات فقط، وكبرت مؤمنة أنني وحدي أحمل كل أحلام أبي»[2] كان لآمال منذ صغرها قوة الأمل والقدرة على تحقيق أحلام والدها الذي سعد بقدومها وكأنها أصبحت العوض لداليا وحسن بعد موت اسماعيل.

لتتغير بعدها حياة آمال عند تعرضها لشظية في خصرها ‹‹شعرت بألم مفاجئ في جانبي وتعثرت وانقطعت أنفاسي، ونظرت إلى الأسفل لأرى الدم ينتشر عبر ثوبي، وصلت إلى الأسفل ولمست الجرح، فخرجت أصابعي لزجة مبللة بالدم››[3]. تظهر هذه الاقتباسات الخيبة التي تعرضت لها بعد أن كانت طفلة طموحة ومرحة .‹‹تحدد شخصية آمال بوصفها البؤرة التي تعاني من خلالها المأساة الفلسطينية فهي تعني وسيطاً يختزن كل ما يتصل بالفلسطيني من جراء الجريمة الصهيونية وآمال لم تعطب نفسياً فحسب، إنما أعطبت جسدياً

[1]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص118

[2]– سوزان أبو الهوى بينما ينام العالم ، المصدر السابق، ص98

[3]–المصدر نفسه، ص181

أيضاً، وبذلك فقد ظل الخراب للشخصية الفلسطينية داخلياً وخارجياً.››[1]وتبقى شخصية أمال ممزقة ومنقسمة بين بلدين وثقافتين مختلفتين.

يوسف:ينحدر يوسف من عائلة فلسطينية عريقة حفرت مأساة النكبة والتشرد في ذاكرتها الجماعية نشأ حاملا ارثا ثقافيا غنيا ومتشبعا بحب الوطن والتمسك بالأرض ولكن مسار حياته والتجارب التي عاشها من لجوء ومنفى أبعدته قسرا عن وطنه وهذا سببه الاحتلال

تميز يوسف بطفولة سعيدة مع أصدقائه وعائلته إلى أن جاءت النكبة عام 1948 حيث انقلبت حياته حين تهجرت عائلته من قريتها في عين حوض وتضطر للعيش في مخيم، وهناك واجه ويلات اللجوء وشاهد مآسي اللاجئين ومعاناتهم ‹‹سئل يوسف جده، جدو هل نستطيع أن نذهب إلى البيت الآن، لم يكن باستطاعة يحي أن يكذب ولا أن يقول الحقيقة، قبل حفيده وجذبه ليقربه بإحكام من صدره››[2]، يعبر هذا الاقتباس عن طفل صغير بريء مشوش وضائع فهو يعيش أهوال النكبة منذ صغره، شاهد نضال الضحايا من أجل البقاء والكرامة وتعرض للاضطهاد من قبل اليهود في صغره وحتى عندما أصبح شاباً وتحصل على وظيفة لم يسلم فقد عاد إلى جنين ليطمئن على عائلته وهناك تعرض للتعذيب والاستغلال والعنف الجسدي والنفسي وهذا ما سبب له صدمة نفسية عميقة وتسبب في فقدان ثقته بنفسه.

وقد بقي في السجن تحت رحمة اليهود، وهو في السجن يلتقي يوسف بأخيه اسماعيل أصبح يلقب بدافيد «سأله يوسف مستعملاً المفردات العبرية القليلة التي يعرفها ومكرراً ما قال بالعربية، هل اسمك اسماعيل»[3]يبين الاقتباس مخاطر الاحتلال وما سببه من تشتت للعائلة وضياع للهوية،‹‹أخطأت اسرائيل في حساباتها فقد قاتل الفدائيون بشجاعة أسطورية،

[1]–رامي أبو شهاب الممر الأخير،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2017، ص260

[2]– سوزان أبو الهوى ، المصدر السابق، 157

[3]– المصدر نفسه162

واندفع المقاتلين مع أحزمة ناسفة إلى أشلاء، كان أخي يوسف معهم، يواجه وجهاً لوجه بجرأة وغضب››[1]

قام هؤلاء ومعهم يوسف بالمحاربة والمقاومة وهذا لإثبات أنهم ليسوا لاجئين بل فلسطين هو وطنهم الحقيقي، «أن تكون بلا وطن أي مشتتا في الغريب من المكان يعني أنك تحتاج شيء من التعويض»[2] وهذا ما حدث مع يوسف عندما تغرب عن وطنه وعائلته إلى الأردن للمقاومة، والتقى فاطمة وتزوج ورزق بابنة وسماها فلسطين وبعد ذلك قرر العودة إلى المقاومة تاركاً عائلته وراءه إلا أن سمع بمقتل فاطمة وابنته فلسطين من قبل الاحتلال ‹‹حاصر جيش أربيل شارون مخيمي اللاجئين صبرا وشاتيلا، حيث كانت فاطمة وفلسطين تنامان في سلام من دون يوسف .... راقبوا ما يحدث من خلال مناظيرهم في النهار، وفي الليل أناروا السماء بقنابل ضوئية››[3]، لم يتحمل يوسف خبر وفاة فاطمة زوجته ‹‹هاتفني يوسف صارخاً، صارخاً حتى عبر أسلاك الهاتف، كان الحزن في صوته يكفي لشق عنان السماء، لا أزال أسمعه يحطم الريح كلما مشيت، كم يجب علينا أن نتحمل؟ وكم يجب علينا أن نقدم؟ انتحب مثل الطفل فاطمة حبيبتي فاطمة، ذبحوا زوجتي وأطفالي مثل النعاج››[4].

بعد هذه الحادثة انغمس يوسف في الحزن والغضب والرغبة في الانتقام مما أدى إلى ظهور شخصية ثانية له دفعته إلى ارتكاب أعمال العنف والجريمة لقد بدأ بتخطيط في قتل كل من له علاقة في مقتل عائلته وشعوره بالذنب والعجز عن حماية أهله ازداد لديه وقيده وجعله يعيش في أوهام، وكل ما جرى له في حياته تسبب في تشرذم وتفكك هويته وبقاء تأثير النفسي عليه وكل هذا أدى به إلى انشطار هويتيه بين شخص يريد العيش مع عائلته في وطنه كما كان في الماضي ولم يسمح له الاحتلال وبين شخص يريد الفرار والعيش في سلام.

---

[1]– المصدر نفسه، ص170

[2]رامي ابو شهاب، المصدر السابق ،ص 88

[3]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص335.

[4]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص337.

وعند مقتل زوجته انقسم بين شخص طبيعي وبين شخص يريد الانتقام «أنا ابن عربي، ولدت لداليا وحسن جدي يحي أبو الهيجا وجدتي باسمة، أنا زوج فاطمة، أب لاثنين، أنا رجل مسكون، تمتلكني الآن جثتهم العاصفة، تتكون بداخلي لا أنام ولا أستطيع رؤية الشمس، خنق شيطاني يفور في عروقي، لعله يكمن بعد رحيلي لعلكم تتذوقون مرارته أسعى للانتقام لا أكثر ولا أقل وسوف أحصل عليه، ولن تروا أي رحمة»[1]، في هذا المقطع يتبين مدى الحقد الذي يحمله يوسف اتجاه الاحتلال، حيث يشعر أن جثث الأشخاص الذين رحلوا يتجلى وجودهم بداخله، يتضح أن يوسف مشوش عقليا ولا يفكر إلا في الانتقام.

عاش يوسف لاجئاً في وطنه ومتغرباً في بلد أخرى في الأردن وثم في الكويت وكان متشرداً عن عائلته بعد قتلها على يد الصهاينة، هذه الأحداث خلقت صراعاً بداخله فقد عاش منقسما بين هويته الفلسطينية التي تم انتزاعها منه، وبين هوية أخرى لا يحس أنه ينتمي إليها.

إسماعيل (دافيد): تبدأ قصة إسماعيل من يوم اختطافه، فحين احتلت عين حوض عام 1948، اضطرت عائلة أبو الهيجا الهروب إلى مخيم جنين، وفي تلك الأثناء كانت داليا تحمل ابنها إسماعيل بين ذراعيها وهي في وسط زحام الفارين يسقط من حضنها فهذا الأخير انتهز الفرصة واختطف إسماعيل ‹‹تسببت الحشود المتلاطمة في إسقاط الطفل من ذراعيها، وفي لمح البصر هجم موشيه على الطفل واختطفه ودسه في كيسه العسكري، وواصل السير دون أن ينظر إلى الوراء››[2]، أخذه إلى زوجته العاقر وقاما بتربيته وأطلقا عليه اسم "دافيد" وهنا نلاحظ بداية طمس هوية إسماعيل الفلسطينية من خلال تغيير اسمه من اسم عربي إلى اسم أجنبي والهدف من ذلك خلعه من أصله العربي وجعله هجين الهوية مثل إدوارد سعيد الذي عاش ازدواجية الهوية النابعة من إشكالية اسمه المركب من الاسم العربي سعيد والاجنبي إدوارد[3] وفي حرب حزيران عام 1967 حين احتل الجنود الاسرائيليين المخيم

[1]– المصدر نفسه، ص357.

[2]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص68.

[3]– فوزي لدزر، المصدر السابق، ص 142، بتصرف

جمعت الصدفة بين يوسف الأخ الثاني لآمال بأخيه إسماعيل "دافيد" والذي أصبح جندياً إسرائيليا وقام بضرب أخيه وتعذيبه دون معرفة بأن يوسف يكون أخاه، ولكن يوسف عرفه من خلال الندبة التي في وجهه ‹‹إنها الندبة التي رسمتها بإهمالي على وجه أخي إسماعيل، لكن إسماعيل ميت، هذا جندي يهودي، وجهه مثل وجهي تماماً، لقد استولى على ندبة أخي لابد أنني أحلم أمد يدي لألمسه، لكنه يبتعد إلى الوراء، لاحقاً وليس الآن، أصبحت موقناً أنه لم يكن حلماً، إسماعيل حي، أخي يهودي وهو جندي إسرائيلي››[1]، فهذه الندبة هي أكثر من مجرد علامة جسدية، فهي تشير إلى الحقيقة التاريخية التي لا يمكن إخفائها خاصة تلك المتعلقة بهوية الإنسان والمكان الفلسطيني، فهي تجسد الجروح العميقة التي خلفتها الصراعات والحروب على جسد فلسطين، وتصبح تذكيراً دائماً بالنكبة والاحتلال يجسد العنف والقسوة والاستغلال التي يتميز بها أفراد المجتمع الإسرائيلي «اقترب دافيد من الفلسطيني مسترقاً النظر من تحت حافة خوذته... حدث كل منهما إلى الآخر متفجراً بالأسئلة من أنت أيها العربي القذر وكيف أصبحت يهودياً يا إسماعيل... صفع دافيد العربي، ثم أخذ يضربه بعقب بندقيته››[2]، تصرفاته اللا أخلاقية وكرهه الشديد للعرب كله نتيجة الثقافة العسكرية الصهيونية التي نشأ عليها، وبعد معرفة دافيد الحقيقة من والده "موشيه" قرر أخيرا أن يبحث عن عائلته ‹‹شعرت يومها بالندم واستعدت لمساعدة ابنها في العثور على العائلة التي ولد فيها.... إلى أن تمكن من تحديد مكان وجود آمال حسن يحي أبو الهيجا في إحدى ضواحي فيلادلفيا››.[3]

نلاحظ أن التقاء دافيد بأخته آمال كان فيه نوع من المبالغة، فتحوله من جندي محتل قاسٍ إلى شخص محب ومسالم لم يكن مقنعاً، وأن سلوكه المتناقض لم يبرر بشكل كافٍ أن دافيد أبرام لم تتعرف إلى الاسم، لكن لفظ الاسم دافيد جعلها تشتبه في أن يكون هذا الغريب اسرائيلياً...

[1]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص63.

[2]– سوزان أبو الهوى المصدر نفسه، ص 65.

[3]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص376،377.

أعتقد أنك قد تعرفينني باسم إسماعيل خاصة أنه كان يكره العرب، ويعترف باسمه العربي، بالإضافة إلى أن من غير المنطقي أن تسامح آمال دافيد ببساطة بعد كل ما فعله بأخيها يوسف وبشعبها واعتبارها خيانة للقضية الفلسطينية ‹‹ثم وقع حادث آخر عندما تعرض يوسف للضرب المبرح على حاجز تفتيش، قبل أن يتركني في جنين بوقت قصير، أعتقد أن دافيد هو الذي ضربه... أمي نحن لا تعرف هذا الرجل، إذا كان هو من تسبب في الأذى لخالي يوسف، فمن يدري ما يمكن أن يفعله... عليّ أن أقابله، حبيبتي، لا يمكنني ألا أفعل››[1]، ولكن هذا لا ينفي أن الرواية قد نجحت في تصوير تعذيب اليهود للفلسطينيين ومعاناتهم بشكل مؤثر.

كما نرى أن الروائية سوزان أبو الهوى تأثرت برواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني، بحيث نجد تناصا بين شخصية خلدون (دوف) في عائد إلى حيفا وشخصية إسماعيل (دافيد) بينما ينام العالم، فتتماهى الروايتين من حيث التربية اليهودية للطفل الرضيع خلدون الذي تركته أمه ورحلت وعندما عادا وجداه جندياً إسرائيليا يحمل اسم (دوف)، والفرق بين هاتين الشخصيتين أن دون بقي منحازاً لأفكاره الصهيونية.

يحي :أب حسن ودرويش وهو جد أمال بطلة الرواية، فهو يمثل رمز ومعاناتها ولديه إيمان قوي باستقلال وطنه فلسطين، بالإضافة إلى حرصه الشديد على تلاوة الآيات القرآنية بالرغم من أنه لا يعرف القراءة ‹‹ساحبا من جيب دشاشته مصحفاً قديماً ورثه عن جده الذي كان قد اعتنى بهذه البساتين قبله، ومع أن يحي لا يعرف القراءة، فقد كان يحب أن ينظر إلى الخط الجميل، بينما يتلو الآيات القرآنية من الذاكرة››[2]، وكان يحي دائم الحفاظ على هويته وثقافته وتعليمها لأبنائه رغم الظروف الصعبة التي مروا بها، ‹‹مال مع النسيم ثم نفخ برفق في الناي وأحش بالموسيقى المنبعثة من الفتحات الصغيرة... علمه جده العزف على ذلك الناي القديم، وأثارت ألحانه في يحي شعوراً بأسلافه، وبمواسم القطاف التي لا تعد ولا

[1]– المصدر نفسه، ص384.

[2]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص22.

تحصى، وبالأرض والشمس والزمن والحب››[1]، تمثل الموسيقى ملاذاً ليحي وبها يعبر عن مشاعره الدفينة، كما تشعره بالراحة والسكينة، ويشير ذلك إلى أهمية التراث والثقافة في حياة يحي وارتباطه بجيله السابق، ويمثل الناي تراثاً ثقافياً عربياً، وارتباط يحي به يظهر تمسكه بهويته وانتمائه، لوطنه، وكانت علاقته بعائلته علاقة متينة، فهو يحب عائلته وأرضه حباً عميقاً، وهو مستعد للتضحية بكل شيء من أجلها ‹‹أنت تعرف أنني لا أفضل أن تسافر في هذه الطريق الطويلة إلى القدس... فإنك لا تعرف أبداً هل هناك صهيوني ابن كلب يتربص بين الأشجار أو نذل بريطاني قد يطلب منك التوقف لماذا تقوم بهذه الرحلة››[2]، وكذلك حبه لأشجاره فأكثر شيء ألم يحي وترك في نفسه وجعاً كبيراً هو ابتعاده عن أشجاره وأرضه، لا يحتمل يديه وهم عاطلتين لا يخدماني لأرض وهو بذلك شخص منزوع من أرضه ، وهو مثال لكل الشعب الفلسطيني المنفي مثل إدوارد سعيد «الذي يضع نفسه بإصرار بأنه الشخص المنتزع المنفي من بلاده »[3]طوال حياته التي امتدت إلى أكثر من ستين سنة، ‹‹اعتاد يحي العلاقة المتينة والمتبادلة بيم الفلاح وأرضه... وصار يتنقل هنا وهناك بطباع رجل هزمه الانتظار، مهزوم حتى يديه المتذمرتين بصمت من البطالة القسرية››[4] فلم يستسلم يحي لليأس، وقرر العودة إلى أرضه للاطمئنان على أشجاره لأنه كان شهر تشرين "نوفمبر" بالرغم من معرفته أن سيواجه صوبات وعقبات خلال رحلته منها الحواجز الاسرائيلية، وخطر الموت يلاحقه في كل ثانية، وأخذ يستعد لرحلته البطولية ‹‹جلس منتصباً مثبتاً قدميه ذواتي الجلد المتصلب في التراب متنفساً بعمق، حان موعد القطاف... أشجار الزيتون حلق ذقنه، فتل طرفي شاربه فتلتين مضبوطتين... لابد أن العنب والتين قد تساقطا الآن، وقاره المعهود، لبس ثيابه على مهل، مرتدياً أفضل دشداشة يملكها...لابد أن أمطار تشرين الثاني (نوفمبر) قد لينت الأرض.››[5]

---

[1]–المصدر نفسه، ص22.

[2]– المصدر نفسه، ص23.

[3]– فوزي لدزر المصدر السابق، 147

[4]–سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص74.

[5]–سوزان أبو الهوى، المصدر السابق79

وخرج من مسكنه فخوراً بقراره ‹‹فلم يهتم لقوانين العدو التي فرضت عليهم القيود العسكرية المشددة ،وحرموا من حرية التعبير والتنظيم والتنقل، حيث اعتبرت إسرائيل وجودهم تهديدا للدولة الإسرائيلية››[1]

حاول كل من يعرفه أن يمنعه من الذهاب ولكنه لم يستمع لأحد ونفذ قراره وذهب، وعندما وصل إلى أرضه، ورأى أشجاره مرة أخرى شعر بمشاعر قوية من الفرح والانتصار، فلا توجد قوة تهزم شعباً يملك قوة وعزيمة وشجاعة مثل يحي، وكم من يحي في فلسطين «وقضى هناك ستة عشر يوماً من دون أن يكتشفه الجنود، وقال معلناً: تضاريس تلك المنطقة في دمي، أعرف كل شجرة وكل طي، الجنود لا يعرفون، تجول يحي في حقوله أياماً، محيي أشجار الخروب والتين، نام قانعاً في ظلها، كقيلولة بعد الظهر في الايام الخوالي»[2]، وبعد ستة أشهر من المعاناة الجسدية، عاد يحي منتصراً وفي جيبه الفاكهة وحبات الزيتون الثمينة «عندما عاد من ايامه الستة عشر بشحاذ مرح معه كثير من الفاكهة والزيتون.... في كوفيته وحيوية ويديه... احتفل به الناس بم يليق بالرجل الوحيد بينهم الذي استطاع مراوغة قوة عسكرية لا ترحم مالم تستطيع خمس دول كبرى، لقد عاد، ومعه كانت عودته موجزة وغامضة فقد فعلها»[3]

يعد يحي رمزاً للصمود الفلسطيني في وجه الاحتلال الاسرائيلي وتظهر عودته إلى المخيم رغم كل الصعاب التي واجهها أن الشعب الفلسطيني لن يستسلم أبداً، وسيواصل النضال من أجل حريته، كما يمثل رمزاً للأمل،«في إحدى الحوارات السردية نقرأ مستوى من التعبير اللفظي المعني بمقاومة الشتات ،ولهذا نجد أن مفردة "سيرجع" بديلا عن سيذهب، فالمنفى يعيد تشكل اللغة، ووعينا بمعنى أن نكون في الطارئ، ونتوق للعودة»[4] بحيث تظهر عودته حاملا معه الفاكهة والزيتون أنه هناك أملاً في المستقبل، وأن الفلسطينيين سيعودون

---

[1]– محمود ميعاري هوية الفلسطنيين في اسرائيل هل هي فلسطنية ام اسرائيلية مجلة الدراسات الفلسطنية، العدد 10 1992ص 42

[2]– سوزان أبو الهوى،المصدر السابق ،ص147

[3]– المصدر نفسه ،ص77

[4]– رامي أبو شهاب، المصدر السابق، ص142

يوماً ما إلى أرضهم ويعيشون حياة كريمة، ويبث المشهد كذلك وحشية الاحتلال وقسوته على الفلسطينيين، حتى في أبسط الأمور، مثل حصولهم على الفاكهة والزيتون من أرضهم وبعد أيام من الانتظار الثقيل، لم يصبر يحي وقرر الرجوع إلى أرضه مرة ثانية ولم يكن يعرف بأنها الأخيرة «حلق يحي ذقنه، ارتدى ثيابه، ماراً بالشعائر الهادئة نفسها التي خاضها قبل أسابيع، ولكن في هذه المرة، أدى شعيرة العودة المحرمة بخبرة المرة الماضية»[1]، «لا أحد يعرف بالضبط متى توفي يحي... كان يعرف أنه خروج من غير رجعة، كان الحاج سالم على يقين أن يحي قد عاد لكي يموت حيث كان عليه أن يموت، على أرضه»[2].

ظن الناس أنه مات من حسرته على أرضه إلا أنه توفي بسبب طلق ناري من طرف الجنود «عندما غسلت العائلة جثمانه قبل الدفن، وجدوا في كفه المطبقة ثلاث حبات زيتون، ووجدوا بعض أكواز التين في جيوبه، وكست وجهه الميت ابتسامة هادئة وادعة، وكان ذلك دليل أكد للجميع أنه رحل سعيداً إلى الجنة»[3]، حبات الزيتون والتين تظهر عمق تعلقه بأرضه وحبه لها، فمات وهو يفكر في وطنه وشعبه، مات يحي سعيدً وراضياً، فقد حقق هدفه في العودة إلى أرضه ورؤية أشجاره وموته كان موتاً شريفاً في سبيل قضية عادلة، ومات وهو على يقين من أنه سينال ثوابه في الجنة، سيخلد اسم يحي وذكرى نضاله في قلوب الجميع، وسيظل مصدر إلهام للأجيال القادمة.

باسمة :زوجة يحي أبو الهيجا امرأة قوية وذات إرادة صلبة، تكرس حياتها لتربية أطفالها والاعتناء بهم، وتوفير حياة أفضل لهم، ومعروفة بعطائها وكرمها «أعدت باسمة العدس والمقلوبة مع لحم الضأن وسلطة الزبادي وعلى مقربة منهم، جهزت وجبة أخرى للعمال الموسميين من أبناء البدو والقرى المجاورة، والذين قبلوا ما قدمته لهم شاكرين»[4]، كما نجدها حريصة على نقل تراثها الفلسطيني إلى أطفالها وتعليمهم معنى العائلة والاستقرار وخاصة عندما دخلت داليا الهمجية حياتهم «قوة تحمل الفتاة البدوية أخافت باسمة، فقررت منذ تلك

---

[1]- المصدر نفسه، ص78.

[2]- المصدر نفسه ، ص82.

[3]- سوزان أبو الهوى ، المصدر السابق، ص82.

[4]- سوزان أبو الهوى ،المصدر السابق، ص36.

اللحظة أنها لا تريد لهذه الفتاة أن ترتبط بأي صورة بهذه العائلة، وخاصة وأنها كانت منتبهة تماما لعيني ابنها الاخر حسن اللتين كانتا تتابعنها»[1] ومع ذلك تحققت مخاوفها وأصر ابنها حسن على الزواج من داليا ولكنها رفضتها رفضاً قاطعاً «ردت باسمة بغضب جامح

لا!لا!لا!لا!

وراحت تلوح بذراعيها، وشدت ثوبها وهي تناشد ربها، وضربت على صدرها. ولطمت وجهها، ولعنت اليوم الذي وطئت فيه قدما تلك البدوية قرية عين حوض»[2]، وفعلاً انتهت المشاحنة بين الأم والابن بانتصار الابن وتزوج حسن داليا ابنة الأربعة عشر ربيعاً ، في حفل مهيب كان احتفالاً يليق برد اعتبار والد داليا، وضراوة مرارة باسمة، وكآبة قلب درويش الحزين... حتى قبل ولادة يوسف، كانت باسمة قد بدأت تلين نحو داليا، لم يكن في وسعها إلاً تعجب المثابرة التي كانت تتناول بها داليا أعمالها المعتادة، والمهارة التي تبديها وهي تساعد أمها على توليد نساء القرية، أو بهجة زوجها وهو برفقتها ولكن لم تدم هذه المعاشرة طويلا بحيث لقيت باسمة مصرعها بسبب انفجار قنبلة على مسافة قريبة منها فأصابتها نوبة هلع أدت بحياتها «لعنة الله على الصهاينة! ماذا يريد أبناء الشياطين؟

قالتها باسمة وهي تصرخ في اتجاه الدخان المتصاعد، وقد أصبحت مخاوف زوجها هي مخاوفها الآن تجمع قلق باسمة في صدرها، واستقر في قلبها، وجعل رأسها يدور، وهنت ساقاها، فسقطت وسط نبات الورد الجوري في الحديقة، وهي تمسك كتفها اليمنى، كانت لا تزال على قيد الحياة عندما ركضت داليا إليها، لسماع كلماتها الأخيرة فقط "بنتي! بنتي»[3]، وبعد موت باسمة أصبحت داليا شديدة الاعتناء بالورود التي أحبتها باسمة وورثت منها كنزا لا يفنى وهو نصائحها القيمة التي كانت تقدمها لها.

[1]–المصدر نفسه ص32،

[2]– المصدر نفسه ،ص37.

[3]– المصدر نفسه، ص43.

2.2 تجاذبات الهوية و الهجنة في رواية بينما ينام العالم:

تتسم الهوية بديناميكية وتنوع ،وهذا راجع إلى أسباب متعددة أهمها الهجرة والعولمة وبالأخص الاحتلال الذي نفي وهجر الكثير من الأشخاص وأبعدهم عن وطنهم وثقافتهم

وأغرسهم في وطن وثقافة مخالفة عن ثقافتهم الأصلية، حيث أنتج هذا تداخلا وامتزاجا بين الذوات البشرية مع مجموعة بشرية مختلفة عنها، وهذا الاختلاط بين الثقافات سمي بما يعرف بالهجنة أو هجنة الهويات.

مصطلح الهجنة يشير إلى طريقة تفاعل الثقافات المختلفة بين بعضها البعض بمعنى التداخل الثقافي، عرفه هومي بابا بأنها «إشكالية تمثيل وتفريد كولونياليين تقلب مفاعيل الإنكار الاستعماري، بحيث تدخل المعارف الأخرى المنكرة على الخطاب المسيطر وتغرب أساس سلطته»[1]، يوضح هومي بابا أن الهجنة هي مزيج من تفاعل وتداخل ثقافتين أو أكثر مما يؤدي إلى خلق ثقافة أخرى فريدة من نوعها، كما أكد على إمكانية تعايش هاتين الثقافتين خاصة في ظل عالم يتسم بتزايد التنوع الثقافي والتواصل بين الثقافات المختلفة، ولكنه أشار إلى الفضاء الثالث كمساحة رمزية تمثل نقطة التعددية المتنوعة، حيث تتفاعل وتتداخل دون هيمنة ثقافة واحدة على أخرى ولكن في ضل الاستعمار ومحاولة سيطرة الدول القوية على الضعيفة وخلق ثنائيتي المركز والهامش الذي يرفضها هومي بابا، أصبحت الدول المستعمرة تفرض ثقافتها وهويتها على ثقافة المستعمر، حتى أن هناك البعض الذي يذوب في ثقافة المستعمر ويولع بها حتى أنه ينسى هويته الأصلية ويتخلى عنها، والبعض الآخر ينحصر بين ثقافتين فهو دائماً ما يتذكر ويحن إلى ماضيه وثقافته وحتى وطنه الذي تغرب عنه وهذا ما يسمى بالانجذاب والانقسام.

فهذا ما عاشته شخصيات روايتنا بينما ينام العالم للكاتبة سوزان أبو الهوى.

حيث أنها رمز للهجنة والتغرب وانشطار الهوية بأشكالها المتعددة منها:

الهجنة اللغوية: ويشير هذا المصطلح إلى ظاهرة تفاعل وتداخل اللغات وهذا ما يساهم في الإثراء اللغوي ولكن يصبح سلبيا إذا تخلى الفرد عن لغته الأصلية أما في شخصيات روايتنا لم يتخلّ أبطالها عن لغتهم الأصلية بل انفتحوا على لغات أخرى وتعلموا منها، ويظهر ذلك أولاً عند تعرف حسن على صديق آري «قال الصبي، أسمي آري، آري بيرلشتاين،... أنا اسمي حسن رد عليه آري بالعربية، سلام عليكم، ثم أشار إلى الكتاب الذي في يد حسن

[1]– هومي بابا، موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، العدد569، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004، ص43.

وسأله بالألمانية، ما هذا الكتاب الذي تقرأ فيه، بوك... ذيس بوك، رد حسن بالإنجليزية ثم كررها بالعربية، نعم كتاب»[1]، ويظهر كذلك عند مغادرة آمال إلى أمريكا فلوهلتها الأولى إلتقت بصديقة أمريكية، «سألتني فتاة جميلة ذات شعر أحمر، في مطار "فيلاديلفيا" الدولي، لا تقلقي كل شيء على ما يرام ألم تري السلالم المتحركة، إذاً هذا هو النطق الصحيح بالإنجليزية لكلمة سلالم المتحركة ،أجبتها من دون أن اكون على يقين من الإجابة الأمريكية المناسبة لحماستها اللطيفة، جئت من لغة تجعل من التعبير عن الشكر لغة قائمة بذاتها الله يسلم هالإيد اللي أعطتني ها لهدية، عينيك الحلوة هي اللي شافتني جميلة، الله يطول عمرك، مرحبا سارة... هالو...»[2].وعندما قالت أمال أيضا‹‹سألني زوجي، ماذا تقرئين حبيبتي، أريته الغلاف، إنها مجموعة من القصائد الأمريكية، عن الورود»[3]، سنتخلص من هذه الاقتباسات استلهام الترجمات المتعددة للشخصيات مثل: العربية، الانجليزية، العبرية، حتى الدارجة الفلسطينية، وهذا ما يبين تنوع الخلفيات الثقافية لشخصيات الرواية هذه الملامح الهجينة في اللغة تماثل ملامح الهجنة اللغوية في رواية ليالي ستراسبورغ «التي تطرح مسألة الهجنة اللغوية بحدة حيث تتقاطع فيها اللغات، الفرنسية، العربية، الألمانية، والإنجليزية واللهجات الجزائرية المغربية ....فشخصيات الرواية تحاول أن تتواصل فيما بينها باللغة البينية»[4] وهذا ما حدث مع شخصيات روايتنا.

الهجنة الثقافية: وتضم كل الاختلافات بين الثقافات سواء كان هذا الاختلاف في اللباس أو في الطبخ أو في الموسيقى وغيرها، وهذا ما نراه في الرواية المدروسة لأن الرواية تظهر الاختلاف بين ثقافة الدولة الفلسطينية وثقافات أخرى كأمريكا، بيروت وغيرها ومثال ذلك:

أ – اللباس: نرى هناك اختلافا في لباس الفلسطينيين والأمريكيين مثال ذلك: الدشاشة، الكوفية، القفطان، «لم يكن لديها مانع من رفع قفطانها لمطاردة سحلية وترك التصاميم

[1]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص25.

[2]– المصدر نفسه، ص86.

[3]– المصدر نفسه، ص315

[4]– فوزي لدزر، المصدر السابق، ص 301

المشرقة لثوبها البدوي»[1]، «دعا يحي بعد ستة عشر يوماً، رث الملابس... الكوفية التي كانت غطاء لرأسه»[2]

الهجنة الدينية: يشير مصطلح الهجنة الدينية إلى وجود ديانات متعددة في نفس المكان والمجتمع وهذا ما نراه في الرواية فنجد:

[1]– سوزان أبو الهوى، المصدرالسابق ، ص19

[2]– المصدر نفسه، ص76

الإسلام: وهو الدين الذي يتميز به أبطال الرواية كآمال ويوسف ويحي وغيرهم فهو تعبير عن هويتهم ‹‹ بينما يتلوا الآيات القرآنية من الذاكرة... ساحبا من جيب دشاشته مصحفاً قديماً... أطلق الوضوء همهمات الشهادتين في ضباب الصباح تعلن وحدانية الله والتصديق برسالة نبيه المصطفى اليوم صلوا في الهواء الطلق بخضوع خاص››[1]، قال بطريقته «اللهم توكلنا عليك في هذا اليوم لك الحمد ولك الشكر»[2]، ، وهنا لابد من تحليل ما قدمه كنعانة الذي يناقش الهوية الفلسطينية ضمن مدارات أولهما «الهوية الثقافية التي تخص القرية المنزل حتى الطبقة ومرتكزات منها اللغة الدين التاريخ»[3]أي أن الفلسطيني دائما ما يعتبرون هؤلاء العناصر هي ما تميز هويتهم.

اليهودية: وهي التي أخذت الحيز الأكبر أكثر من المسيحية وهذا راجع إلى الاحتلال الصهيوني على دولة فلسطين «كانت القدس مدينة مقدسة بالنسبة بالديانات الثلاث، الإسلام، اليهودية، المسيحية، وكان لكل ديانة مواقعها وتقاليدها المقدسة في المدينة وقد عاشت الطوائف الثلاث معاً في القدس لعدة قرون»[4]، وتظهر أيضاً عند الشخصيات مثل شخصية اسماعيل وموشيه اليهودي.

المسيحية:«بينما آمال تتجول في شوارع القدس، مرت بالكنائس المزينة بالصلبان وتماثيل القديسين»[5]

تظهر الهجنة أيضاً في اختلاف المستوى المعيشي بين فلسطين ودول أخرى وخاصة أمريكا ويظهر ذلك في قول آمال «من أوضح ذكرياتي عن ليلتي الأولى في الولايات المتحدة، النوم

«شعور بالنقص ميز الشهور الأولى التي عشتها في أمريكا، تخبطت في هذا العالم المفتوح الذي لا نهاية له، حاولت الاندماج ولكن بشرتي الداكنة ولكنتي الأجنبية ظلتا تشينان أجنبيتي»[1].

---

[1]– سوزان أبو الهوى ،المصدر السابق، ص125.

[2]– المصدر نفسه، ص18.

[3]– رامي أبو شهاب ،الممر الأخير ،المرجع السابق ص 91

[4] – سوزان أبو الهوى ،المصدر السابق، ص 300

[5]– المصدر نفسه، ص 230

«تأملت المنظر العام لمدينة فيلاديلفيا أشرطة من الإسمنت والاسفلت تمتص وتتموج تحت أعداد هائلة من السيارات لم أر لها مثيل من قبل، صفوف من المنازل والمصانع والمستودعات تشرق على الطريق السريع...شملت هذه الروائح خسارة لا يمكن تعويضها لرائحة الزنابق البيض التي تنمو على الجدران الحجرية لفلسطين»[2].

فهل على الفرد أن يتفاوض أو يتنازل أو يحارب ويكافح من أجل هويته والتمسك بها؟ لا توجد إجابة واضحة على هذا التساؤل ولكن هومي بابا أكد على أن «حالة التفاوض التي تنشأ من الفضاء الثالث لا يجب أن تتجاهل الانتساب إلى الجذور الثقافية»[3].

ويشير لمصطلح الفضاء الثالثالذي يعني الآخر أي عند فرض الأنا هويته والتفاوض مع الآخر فهوية الشخص تعني أنه لا ينسى جذوره ثقافية.« ومقاومة الذات لرغبتها الخاصة الرامية إلى الإستقطاب والنقاء، هذه المقاومة التي يخلقها أثر الأخر الذي لا تستطيع الذات محوه من ذات»[4]

وهذا حال شخصيات روايتنا ومن ومثال ذلك آمال التي في بادئ الأمر ذابت في ثقافة أمريكا وتصرفات الأمريكيين حيث تقول: ‹‹لقد كان من العزلة الانشغال كانت لهجتي تمثل عائقاً اجتماعيا أو على الأقل اعتبرتها كذلك ... تحولت إلى مخلوق هجين عربي–غربي غير مصنف وغير معروف وبلا جذور، شربت الخمر وواعدت عدة رجال، تصرفات من شأنها أن تجلب علي العار والاستنكار في جنين، تهت في دروب الثقافات وتخبطت في الدخول والخروج من روح الشعب الأمريكي حتى فقدت طريقي، وقعن في حب أمريكي وصدقت أنه حب متبادل،عشت في الحاضر واحتفظت بالماضي المخبأ بعيدا››[5]،‹‹ شربت

---

[1]– سوزان أبو الهوى ،المصدر السابق، ص 251

[2]– المصدر نفسه ص 114

[3]–هومي بابا، موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، دار المجلس الأعلى للثقافة، القاهرو، ط2004،1، ص357.

[4]– المرجع نفسه، ص 15

[5]– سوزان ابو الهوى، المصدر السابق 273

الخمر ودعوتها تتدفق في عروقي، تغسل عن الألم والخوف، شعرت وكأنني أذوب في المدينة، أصبح كياناً واحداً مع تلك الأرواح الأخرى التي تنبض من حولي››[1].

تتوق أمال إلى الشعور بالانتماء إلى بلد لا تنتمي إليه، ويمكن النظر إلى شربها للخمر كمحاولة لكسر الحاجز مع عالمها الخارجي، يوحي ذلك إلى هجنتها الثقافية وكذلك الدينية، ولكن آمال لم تبق على هذه الحال لفترة طويلة، فعندما تستيقظ مشاعر قوية بداخلها وتتذكر هويتها الفلسطينية وانتماءها إلى أرضها تصبح هذه الذكريات شعلة تضيء طريقها وتساعدها على المضي قدماً، حيث تواجه عدة تحديات التي تجبرها على مواجهة الواقع والتخلي عن الحالة السلبية والانبهار بعادات وتقاليد الآخر، حيث لازال الماضي وذكرياته تحيط بها برغم من عيشها في الغربة.

وكذلك الحال مع الشخصيات الأخرى منهم اسماعيل (دافيد) الذي عاد إلى هويته الأصلية وأحبها أكثر من الهوية التي فرضت عليه عند خطفه عندما تعمق دافيد في تاريخ الصراع، بدأ يشكك في الروايات الإسرائيلية التي نشأ عليها، وبدأ يرى المنظور الفلسطيني والظلم الذي تعرضوا له وهذه تماثل رواية الميراث التي تمكنت سحر الخليفة التي تصف حياة الشتات والإشكالية الذي يقع فيها الهجين الذي يبقى بين الماضي والحاضر بحثا عن المستقبل وهذا كما فعلت زينب في رواية الميراث.[2]

كل هذه الاقتباسات هي مثال على التحديات التي يواجها الهجين عن بلده فهل هذا الاختلاف في التطور بين بلده والبلدان الأخرى وخاصة المتقدمة منها، قد يسبب له ذوبان في ثقافة الآخر وقبول ثقافته مع نسيان هويته، وهو بذلك قد يقدم تنازلات عن مبادئه وقيمه المتسمة لهويته يقول هومي بابا: ‹‹المكان الذي تخضع فيه للتفاوض، تلك التجارب الجمعية وبين الذاتية مما يتعلق بالانتماء إلى أمة أو بمصلحة الجماعة أو بالقيمة الثقافية

[1]– المصدر نفسه، ص254

[2]– رامي ابو شهاب المرجع السابق، ص 173 بتصرف

يستعمل هومي بابا مصطلح التفاوض في بمعنى محاولة تعديل المرء شيء فرض عليه، لأنه مرغم على الإبقاء على تلك البنى ولا يستطيع قطعها تماما»[1].

أي أن على الفرد أن يعدل في شيء فرض عليه بالغصب، فهل على الفرد أن يقبل بالتفاوض خاصة في الأمور التي تتعلق بهويته، إن هذا التساؤل صعب، يجيب عليه هومي بابا «حالة التفاوض التي تنشأ من الفضاء الثالث لا يجب أن تتجاهل الانتساب إلى الجذور الثقافية»[2]، حيث يشير عند استعماله لمصطلح الفضاء الثالث إلى الآخر الذي يحاول فرض هويته ومبادئه دون مراعاة لهوية الشخص الآخر المتجذرة المحملة بالقيم والعادات، فيجب على الفرد أن لا يستجيب لهذا التفاوض فهو بذلك ينفي في هويته بنفسه ويستبدلها بهوية الآخر، وهو بذلك يصبح هجينا غريبا عن هويته، فهناك من يستجيب لهذا التفاوض وهناك من يبق معلقا بين هويتين فهو لا ينسى هويته الأصلية ولا يرفض هوية وثقافة الآخر فهو بذلك يعاني من حالة تجاذب الماضي يجذبه من جهة والثقافة الجديدة من جهة أخرى هذا يسبب له انشطار وانقسام للهوية.

وكما لا ننسى شخصية يوسف الذي رفض مبدأ التفاوض والتنازل للأخر عن ثقافته حيث تظهر بعض المواقف له منها رفضه للخدمة في الجيش الإسرائيلي، دفاعه عن أرضه، تمسكه بهويته «إذا بقيت هنا هؤلاء الإسرائيليون سيقتلونني.... لا أستطيع الجلوس ومشاهدة ما يحصل وأنا مغلوب على أمري... أنا ذاهب للمقاومة»[3]، تجسد هذه الشخصية إصرار الشعب الفلسطيني على تمسكه بأرضه وهويته أما آمال فهي تمثل رحلة البحث عن الهوية في ظل الظروف القاسية.

نستخلص من ما عاشته هذه الشخصيات أن الفرد الهجين دائما ما يعيش صراعات وتجاذبات ناجمة عن تضارب ماضيهم وحاضرهم وبين الثقافة الأصلية والثقافة الغربية مثل: إسماعيل الذي يعاني من صراع بين هويته الفلسطينية وانتمائه لزوجته الإسرائيلية، فانتصار احدى هذه الانجذابات في النهاية هي التي تحدد هوية هذا الفرد، وفي الرواية نلاحظ

[1]– هومي بابا، موقع الثقافة، المرجع السابق، ص45.

[2]– المرجع نفسه ،ص91.

[3]– سوزان أبو الهوى، المصدر السابق، ص184.

انتصار للهوية الفلسطينية في قلب شخصياتها فالكل لم يتخلّ عن القدس وحبهم لها وهذا يتوضح لنا عند عودة آمال إلى القدس ‹‹أردت أن أرى القدس قبل التوجه إلى المنزل دافيد»[1]، «كانت جنين أعلى بناءً وأكثر ازدحاماً من تلك التي كنت قد غادرتها من قبل ما يقرب ثلاثين عاماً، أكواخ منسية فوق أكواخ الحجر بدلاً من طوب اللبن... كان الجو مفعماً بالنشاط عندما وصلت بدا كل شيء يتحرك وينطلق سرعة، الأطفال كانوا يلعبون بعصبية لم يكن هناك كما كان في صباي››[2].

هذا المقطع يظهر أن الماضي لازال محفوراً في ذكريات آمال فهو بمثابة أضواء إرشادية التي تشكل هويتها وتدفعها إلى الأمام وسط تعقيدات النضال الفلسطيني، وطفولتها في القدس التي اتسمت بالفرح تشكل اساساً لهويتها وتذكرها دائماً بجذورها والأرض التي اجبرت على تركها وراءها.

آمال هي رمز الفلسطيني الهجين الذي لم يتخل عن هويته رغم التحديات التي يواجها في الغربة ففلسطين دائما محفورة في أذهانهم.

[1]–سوزان أبو الهوى، المصدر نفسه، ص415.

[2]– المصدر نفسه، ص328

خـــاتـــمـــة

خاتمة:

ترك الاستعمار والتبعية أثرا من التهميش الثقافي لشعوب العالم الثالث وينطوي هذا التهميش الثقافي على التخلي عن الثقافة الأصلية دون الاستفادة من الثقافة السائدة، مما يؤدي إلى أزمة الهوية والصراعات من أجل الحفاظ على الثقافة ويمكن ملاحظة تأثير هذه العمليات التاريخية في التحديات التي تواجهها المجتمعات في الحفاظ على هويتها الثقافية وسط الضغوطات الخارجية إذ أن الجهود المبذولة لتحقيق التكامل الثقافي، والحفاظ على الهويات الأصلية، ومعالجة هيمنة الثقافات أمر بالغ الأهمية في مكافحة التهميش وتحليلها من خلال تتبع أراء الكتاب والأدباء والفلاسفة توصلنا إلى أهم النتائج وهي كالتالي:

أولا: مفاهيم الهوية المتعددة ومنه اتضح أن مفهوم الهوية يمكن أن يكون متعدد الأبعاد والمفاهيم، وذلك لارتباطه بالإنتهاء الثقافي والاجتماعي والسياسي مما يجعل الموضوع مختلفا يمكن فهمه بطرق متعددة إلا أن أغلب المفكرين يرون أن الهوية تساوي الوجود الانساني فالإنسان بلا هوية هو إنسان ضائع وفاقد للمعنى وهذه الأخيرة تعد جزءا محوريا في تحديد وجود الإنسان.

و**ثانيا** ارتباط الهوية بالثقافة وهو أكثر من مجرد ارتباط بل تجمعهم علاقة وثيقة فالهوية هي الذاتية والخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تعتبر نخاع الشخصية الفردية الجماعية، وهوية الفرد هي عقيدته ولغته وحضارته، وكل هذه العناصر هي جامعة في كلمة " ثقافة "فهي تعد معيارا لتقدم الفرد أو تخلفه، وهذا الارتباط ولّد مصطلح الهوية الثقافية التي هي مجموعة من التراكمات المعرفية انطلاقا من الدين والعادات والتقاليد، وغيرها من العناصر التي عاشها الإنسان منذ ولادته وترعرع عليها، أي أن الهوية الثقافية هي الواجهة الأولى لمعرفة الإنسان.

ثالثا: الهوية القومية وأهميتها في حياة الفرد، فالهوية القومية ركيزة أساسية للفرد والمجتمع فهي بدورها الرابطة الأساسية التي يجب أن يتمسك بها جميع أبناء الوطن، وهي مركب يشير إلى شعور الفرد بذاته وموقعه في العالم، وتتكون الهوية من مكونات مختلفة بما في ذلك القيم والمعتقدات والانتماءات مثل العائلة والأصدقاء والثقافة والدين والدولة ...الخ

رابعا إدوارد سعيد والهوية: إدوارد سعيد المفكر الفلسطيني الذي عانى من الهجنة وانقسام الهوية،وقد عانى من الهجنة و بداية نلاحظها من اسمه العربي الغربي ادوارد سعيد و شعوره بالانتماء إلى كل من الثقافة العربية و الأمريكية ، ولكنه لم يشعر بالراحة لأي منهما ،هذا الصراع دفعه إلى التعمق في دراسة مفهوم الهوية . كما ساعدت أفكاره في إثبات الهويات الفلسطينية وساهمت مؤلفاته في الدفاع عن فلسطين.

خامسا: فرانز فانون والهوية: الطبيب الفرنسي الذي ساهم في الثورة الجزائرية ضد فرنسا حيث عانى من العنصرية بسبب على لون بشرته والعنصرية الأمر الذي دفعه إلى العمل على كشف حقيقة المستعمر من خلال مؤلفاته وقد اندرجت أغلب كتاباته عن تيار الزنوجة.

أما من الجزء التطبيقي نستخلص:

أولا الأدب الفلسطيني والهوية : الأدب الفلسطيني هو أدب مقاوم جاء لكشف خبايا الاحتلال الصهيوني، وإبراز الجرائم التي يمارسها في حق الشعب الفلسطيني وأهدافه المتمثلة في الاستيلاء على أرض فلسطين واعتبارها ملكيته الخاصة.

ساهم الأدب الفلسطيني في تشكيل الهوية الوطنية الفلسطينية قبل النكبة وبعدها فحافظ على الذاكرة الجماعية وعزز الانتصارات التي خلدها الفلسطينيون،ومن هذا الأدب نذكر الروايات النسائية التي شهدت صدى واسعا في الساحة الأدبية، ولذلك اخترنا رواية سوزان أبو الهوى نموذجا فهي من أهم روايات الأدب الفلسطيني الذي ينقل معاناة الفلسطينيين.

ثانيا الهوية المتشظية والهجنة في الرواية : نلاحظ في الرواية ملامح الحفاظ على الهوية والدفاع عنها وذلك من خلال تصوير الكاتبة لثقافة الشعب الفلسطيني التي تضم الدين الإسلامي والعادات والتقاليد،كما نلحظ مؤشرات الهجنة التي تعرضت لها شخصيات الرواية كإسماعيل (دافيد) و التي كان سببها الرئيسي هو الاحتلال بالإضافة إلى الهوية المتشظية التي كان لها ظهور قوي في الرواية، فقد عانى منها الفلسطيني المنفي الذي عاش في الشتات وتجلّى ذلك من خلال شخصيات الرواية وبالخصوص"آمال" .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم رواية ورش.

1. الحجرات الآية رقم 13.

ثانيا: المصادر

1. سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، دار بلومزبري، قطر، ط1، 2012.

ثالثا: المراجع

1. إبراهيم الحجري ،الرواية العربية الجديدة السرد تشكل القيم ،النايا للدراسات و النشر و التوزيع ،ط1 ،الرباط ،2014.
2. إبراهيم طوقان الاعمال الشعرية الكاملة دار الكلمات العربية القاهرة 2012.
3. إبراهيم مدكور، المنهج الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون الآميرية، القاهرة، 1983
4. إدوارد سعيد، الاستشراق، دار بنجوين العالمية،ط،1 2006.
5. إدوارد سعيد، القلم والسيف، ترجمة توفيق الأسدي، دار كنعان، ط1، 1998م.
6. إدوارد سعيد، خيانة المثقفين ترجمة أسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سنة 2011.
7. إدوارد سعيد، من تفكيك المركزية الغربية إلى فضاء الهجنة والاختلاف، ت محمد الجرطي، منشورات المتوسط.
8. إسماعيل مهنانة، في تفكير الهجنة مع إدوارد سعيد، ابن نديم للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
9. ألكس ميكشللي، الهوية: دار النشر الفرنسية، ط1، سنة 1993.
10. إميل حبيبي المتشائل دار ابن خلدون بيروت ط2 1989.
11. آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، سنة 2007

12. بديعة النعيمي- متاهات الكلمة وأصالة الهوية، دراسات نقدية في الأدب الفلسطيني، بديعة علي حسن النعيمي للنشر، ط1، عمان، 2023م.
13. بيل أشكروفت بال أهلواليا، مفارقة الهوية، ترجمة سهيل نجم، دار نينوى للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2002.
14. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، السماحة للطباعة والنشر، ط1، الكويت، 2012.
15. حسن حنفي، الهوية، مؤسسة الهنداوي، ط1، سنة 2012م.
16. دافيد كوت فرانز فانون ترجمة عدنان الكيالي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، 1971.
17. دافيد كوت، فرانز فانون، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، سنة 1971م.
18. رامي أبو شهاب الممر الأخير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2017.
19. طلعت عبد العزيز أبو العزم، أدب ما بعد الاستعمار ، ونظريته النقدية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، الجيزة، 2017.
20. عبد الحميد حيفري، فرانز فانون، بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، دار الجزائر،2007 .
21. عبد الرحيم خطوف، سؤال الهوية وقضايا التراث والمنهج والدولة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2018.
22. غسان كنفاني الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 1968م.
23. غسان كنفاني، رجال في الشمس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، عام 1963.
24. غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السادسة، شوران، بيروت،2010.

25. فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها، ترجمة نور الدين السافي، زهير المديني، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس،2010.
26. فتحي التريكي، عبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر أفتق معرفة متجددة، دمشق 2003.
27. فرانز فانون، معذبو الأرض، مدارات للأبحاث والنّشر، ط2، القاهرة، يناير 2015م.
28. كلود دوبار، أزمة الهويات، المكتبة الشرقية، ط1، سنة 2008.
29. مجدي المالكي التحول في الهوية الفلسطينية وتجلياتها في ضوء تشرذم المجتمع الفلسطيني مركز للأبحاث والدراسات .
30. مجموعة من المؤلفين،ثقافة المقاومة إشراف وحيد بن بوعزيز ،منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية،2016.
31. محمد الميلي ،فرانز فانون ،الثورة الجزائرية ،وزارة الثقافة العربية، الجزائر العاصمة، 2007.
32. محمد الميلي، فرانز فانون، والثورة الجزائرية، وزارة الثقافة ،الجزائر العاصمة 2007.
33. محمود الضبع، الثقافة والوية والتكنولوجيا، وحدة الدراسات المستقبلية، مصر الاسكندرية، 2016.
34. منقذ بن محمود السقار، الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، مكة المكرمة 1427هـ.
35. مهدي عثمان– الهوية العربية في ظل العولمة، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2015.
36. هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، ط1، مشق، 2010.
37. هومي بابا ،موقع الثقافة دار المجلس الأعلى للثقافة ،ط1، 2004.

38. هومي بابا، موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، العدد569، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004.

المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب– دار المعارف– القاهرة.
2. الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، سنة 1413 هـ.

المذكرات والمجلات:

1. صالح السروي، الثقافة والهوية والعولمة، منبر حر لثقافة والأدب، أيلول 2020م.
2. عامر ممدوح خيرو، التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية، العدد 25، ط1، 2020.
3. عبد الرحيم مراشدة مجلة جامعة النجاح للأبحاث المجلد 29 2015.
4. عرفات عبد الخبير الرميمة، معرفة الهوية وإعادة بناء الذات، صنعاء، 2023.
5. فخري صالح، معنى المنفى من منظور إدوارد سعيد، مجلة يتفكرون، عدد 11، سنة 2021.
6. فوزي لدزر، إشكالية الهوية وجدلية الذاكرة والهجنة في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر،كلية الآداب واللغات الشرقية،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة الجزائر 2،أبو القاسم سعد الله،2021–2022.
7. محمد ياسين رحمة، الأدب الفلسطيني في مواجهة الكيان الصهيوني، مجلة الأيام، 2024م.
8. محمود ميعاري هوية الفلسطنيين في اسرائيل هل هي فلسطنية ام اسرائيلية مجلة الدراسات الفلسطنية، العدد 10 1992.

المقالات:

1. ادوارد سعيد، المسألة الفلسطينية، العدد 295، 1983
2. ادوارد سعيد، غياب خارج المكان، العدد23، 2003.

قائمة الملاحق

التعريف بالروائية:

ولدت سوزان أبو الهوى لأسرة فلسطينية من لاجئي نكسة 1967، عندما استولت إسرائيل على أراضي أسرتها ضمن ما ابتلعت من أراضي فلسطين، أو ما تبقى من فلسطين بما فيها القدس. انتقلت سوزان للعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت آنذاك في سن المراهقة. وهناك حصلت على شهادة في علم الطب الحيوي، ثم بدأت حياتها المهنية في مجال العلوم الطبية في تموز (يوليو) 2001، أسست سوزان أبو الهوى مؤسسة المنظمة غير الحكومية "ملاعب لفلسطين" وهي مؤسسة للأطفال، تكرس عملها لدعم حق الأطفال الفلسطينيين في اللعب.

ومن مؤلفاتها الأكثر مبيعا لعام 2010 رواية " بينما ينام العالم " وهي روايتها الأولى، ويتم الآن نشرها في تسعة عشر بلدا.

تعيش سوزان حاليا مع ابنتها في ولاية بنسلفانيا.[1]

ملخص رواية بينما ينام العالم:

تبدأ الرواية بآمال وهي تتلفظ أنفاسها الأخيرة عند إطلاق النار عليها ليعود بنا الماضي حيث توجد قرية صغيرة تدعى بعين حوض في فلسطين، الذي كان يعيش أفرادها على الحصاد والزرع يقطن بها عائلة يحي محمد أبو الهيجا وزوجته باسمة وأولادهم يحي ودرويش، كبر الولدان، ويقع يحي في حب الفتاة المتفتحة التي لا تقيدها عادات وتقاليد تلك المنطقة، وبسبب هذا لم ترض بها باسمة في بداية الأمر، وفيما بعد استطاعت داليا أن تكسب رضاها ومحبتها، وأصبحت عروس لها ،وأنجبت يوسف واسماعيل وآمال، ولم تدم طمأنينتهم وسلامهم طويلا حتى تاريخ: 02 نوفمبر 1917، جاء فيه وعد بلفور الذي يدعم اليهود في الاستيطان لبلد فلسطين رغما عن شعبها فدخلها اليهود بهدف الاستيلاء على الوطن كليا، فشرعوا بقتل الفلسطينيين وانتهاك أملاكهم ومحاولة تهجيرهم، فلم تسلم تلك القرية الصغيرة من وحشيتهم، ومثال ذلك داليا حينما كانت تسقي الورود لتسمع صوت

[1]_ سوزان أبو الهوى،بينما ينام العالم.ص479.

الرصاص فلاذت بالفرار خوفا منهم ومع ذلك أصيبت في ساقها برصاصة الاحتلال وهنا أحست عائلة أبو الهيجا بالخطر الكبير على حياتهم فهاجروا إلى جنين تاركين أملاكهم وكل ذكرياتهم ورائهم كأنهم انتزعوا من وطنهم.

أمّا يحي فلم يتقبل ذلك الوضع وعاد إلى قريته ومكث في الجبال إلى أن كشفه العدو وقاموا بقتله، كبر يوسف واسماعيل وأحب يوسف فاطمة وتزوجها ومرضت باسمة وتوفيت بعدما تركت المسؤولية لداليا.

تم تجنيد يوسف بالقوة في الجيش الإسرائيلي، فذهب تاركا وراءه ألما كبيرا في قلب أمه داليا، إلى أن توفيت بعد أن أنجبت آمال ورعتها حتى سن الثامنة ،عاشت آمال مع والدها حسن وصديقتها هدى الهاربة من والدها. وبعدها عاد يوسف ناجيا من الموت وقرر وزوجته فاطمة الهجرة من الوطن.

توفي حسن وبقيت آمال لوحدها والتجأت إلى دار الأيتام وعاشت هناك إلى أن تعرفت على ماجد وتزوجوا وذهبوا إلى أمريكا، أنجبت آمال سارة، وتوفي ماجد وفي نفس الوقت قتلت فاطمة على يد العدو الصهيوني، وبعدها عادت آمال مع ابنتها إلى فلسطين، وبينما سارة ووالدتها جالستان حتى جاء قصف من اليهود وأصيبت أمال فداء لابنتها سارة.

توضح الرواية في الأخير أن الشخصيات غير حقيقية ولكن ما تناولته هو تصوير لحياة فلسطين والحقيقة أكثر بشاعة من ذلك.

فهرس المحتويات:

المحتوى	الصفحة
شكر	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار	04
الفصل الأول: إشكالية الهوية في الثقافة العربية	
المبحث الأول: سؤال الهوية في الخطاب الروائي العربي المعاصر	07
1.1 الخلفيات الفلسفية والثقافية لقضية الهوية	07
2.1الهوية– المصطلح– الدلالات	14
المبحث الثاني: الاستعمار وأثره في قضية الهوية	17
1.2 إشكالية الهوية في فكر إدوارد سعيد	17
2.2 الهوية المتشظية عند فرانز فانون	22
الفصل الثاني: الصراع الهوياتي في رواية بينما ينام العالم لسوزان أبو الهوى	
المبحث الأول: الصراع الهوياتي في أدب الشتات الفلسطيني	29
1.1 سؤال الهوية في الأدب الفلسطيني	29
2.1 أهم الروايات الفلسطينية ما بعد الاستعمارية	33
المبحث الثاني: تجليات أزمة الهوية في رواية بينما ينام العالم	40

1.2 الهوية المتشظية في شخصيات الرواية	42
2.2 تجاذبات الهوية والهجنة في رواية بينما ينام العالم	53
خاتمة	62
قائمة المصادر والمراجع	65
قائمة الملاحق	69
فهرس المحتويات	72